الفرق الكلامية

المشبهة - الأشاعرة - الماتريدية

الطبعة الأولى
١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

دار الوطن للنشر الرياض - المملكة العربية السعودية
هاتف : ٤٧٩٢٠٤٢ - فاكس : ٤٧٢٣٩٤١ - ص.ب : ٣٣١٠ - الرمز البريدي : ١١٤٧١

- البريد الالكتروني : pop@dar-alwatan.com
- موقعنا على الانترنت : www.dar-alwatan.com

سلسلة رسائل ودراسات
في الأهواء والافتراق والبدع
وموقف السلف منها (٧)

الفرق الكلامية

المشبهة - الأشاعرة - الماتريدية
نشأتها وأصولها وأشهر رجالها
ومواقف السلف منها

تأليف

أ. د. ناصر بن عبد الكريم العقل

دار الوطن
الرياض ـ شارع المعذر ـ ص. ب ٣٣١٠
☎ ٤٧٩٢٠٤٢ ـ فاكس ٤٧٦٤٦٥٩


بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمـــة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعـد:

فأقدِّم للقراء الكرام هذه الحلقة (السابعة) من الرسائل

والدراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها.

وقد اشتملت هذه الحلقة على الفرق الكلامية الشهيرة التي جاءت على أنقاض الفرق الكلامية الأولى: الجهمية والمعتزلة وهي: الأشاعرة، والماتريدية، وأدرجت معهما المشبِّهة مع أنها فرقة كلامية سبقتهما، وعاصرت الجهمية والمعتزلة لكني لم أتمكن من إلحاقها بهما في الحلقة السابقة.

ولم أفرد الكلابية بالحديث لأنها امتدت أصولها إلى الأشاعرة والماتريدية، بل هي عند التحقيق المرحلة الأولى من مراحل نشأة أصول الأشاعرة الكلامية كما سأذكره عند الكلام عنها بحول الله.

والأشاعرة التي صار لها النصيب الأكبر في هذه الحلقة هي الفرقة الكلامية الكبرى إلى اليوم التي ورثت الأصول الكلامية والفلسفية عن الجهمية والمعتزلة، وأمرها قد يلتبس على كثير من المسلمين حين تدَّعي أنها تمثِّل أهل السنة والجماعة، ويزيد الأمر التباساً أنه وقع في بعض مقالاتها من جهة تأويل الصفات أو بعضها علماء أجلاء لهم قدم صدق في الأمة من أهل الحديث أو غيرهم، كالخطابي والبيهقي والنووي

وابن حجر وابن الجوزي، وهؤلاء كلهم ينهجون مناهج السلف، ويذمون مناهج المتكلمين في الجملة.

كما أن الأشاعرة كانت قد مَّرت بأطوار كثيرة هي في أولها أقرب إلى السنة ونهج السلف الصالح، ثم تجارت بهم الأهواء والنزعة الكلامية والفلسفية ثم الصوفية حتى استقرت أصولها على الأصول الكلامية والفلسفية والصوفية في الجملة، وذلك منذ القرنين السابع والثامن.

وكذلك الماتريدية وهي فرقة كلامية كالأشاعرة، واسعة الانتشار في البلاد الإسلامية الأعجمية حيث كانت نشأتها وامتدادها الأخير في آخر عهد الدولة العثمانية، وبين الماتريدية والمذهب الحنفي تلازم في الغالب.

ومن بواعث انتشار الماتريدية بين المسلمين العجم إضافة إلى ما ذكرته آنفاً قلة السائرين على مذهب السلف في العصور المتأخرة هناك، وظهور النزعات الشعوبية والصوفية والفلسفية والموروثات العجمية الأممية وبُعدها عن مهبط الوحي ومنبع الدين والسنة، وهذه الأمور غالباً تكون من أسباب سرعة ظهور البدع وشيوعها وانتشارها. والله أعلم.

وفي هذه الحلقة ـ كما في الحلقات السابقة ـ حرصت على الإيجاز والاقتصار ما رأيت أنه الأهم والأكثر فائدة في تقديم النصيحة لعامة الأمة من الأصول والمناهج والمقالات التي انحرفت بها هذه الفرق عن السنة، واجتهدتُ في إبراز جوانب الانحراف وأسبابها والتحذير منها، وتجلية مناهج السلف ومواقفهم تجاه هذه الانحرافات والبدع. مع بعض التحليلات والوقفات عند مواطن العبرة والفائدة. ولذا لم أتوسع في الردود، ولم أتعمق في دقائق المسائل؛ لأن ذلك لا يفيد عامة القراء، ولأن الغرض من هذه الحلقات تبصير عامة المسلمين ونصحهم، وأحقهم بذلك الواقعون في هذه البدع من المنتسبين إلى هذه الفرق. أسأل الله لنا ولهم الهداية والاجتماع على الحق والسنة.

وأهم شيء أحب أن أنوه عنه بين يدي الحديث عن هذه الفرق الكلامية أن أصولها تجتمع على الأخذ بالمناهج الكلامية والفلسفية المبتدعة في أهم أصول الدين، وهو مصادر التلقي ومناهج الاستدلال، ومناهج تقريرالعقيدة في صفات الله تعالى وبعض المسائل الأخرى، وهذه الأصول هي التي تجمعها مع

الفرق الكلامية الأولى الخالصة الجهمية والمعتزلة، إذ إن هؤلاء كلهم بما فيهم المشبهة تقوم مناهجهم على التخرصات في صفات الله، والقول على الله بغير علم، والتأويل والتعطيل والتشبيه، والخروج عن سبيل السلف الصالح في ذلك كله.

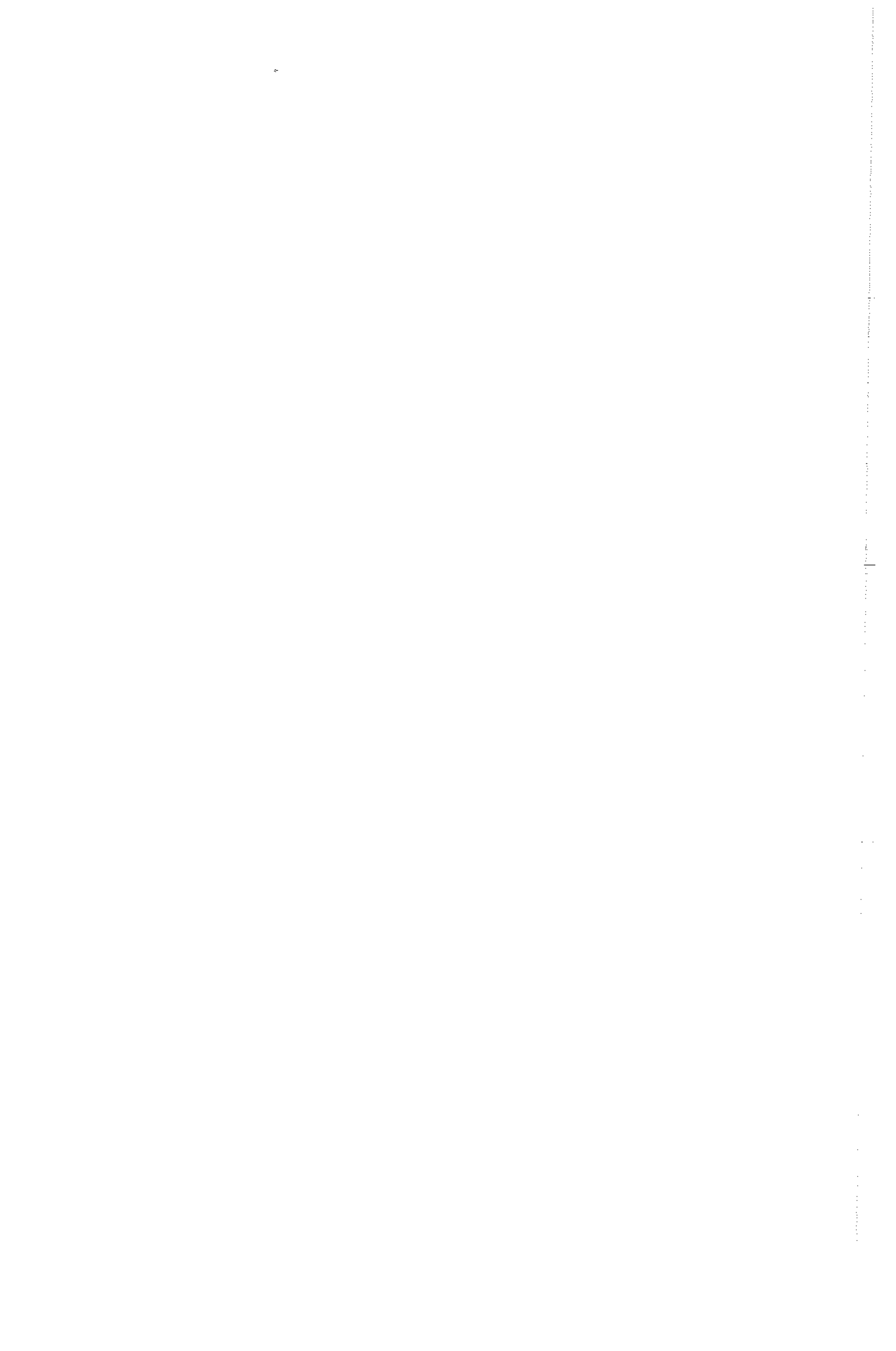
وقد أشرت في ثنايا هذه البحوث ما قد توافق به هذه الفرق أو بعض شيوخها السلف الصالح من الأصول والمسائل، وما لكثيرين منهم من جهود في العلم والدعوة والجهاد والحسبة في نصرة الإسلام والمسلمين، وموقف السلف من ذلك.

وحسبي أني اجتهدت في بذل النصح والإسهام في كشف مناهج الباطل والتحذير منها كما أمر الله وأرشد إليه رسوله ﷺ وكان عليه أئمة الإسلام. وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

كتبــه

ناصر بن عبدالكريم العقل

* * *



المُشبِّهةُ (المُمثِّلةُ)

نشأتها وأصولها ورءوسها

وموقف السلف منها



مذهب أهل السنة والجماعة (السلف) في الصفات

القول الحق الذي عليه السلف: الصحابة والتابعون ومن سلك سبيلهم الذين هم خيار هذه الأمة في صفات الله تعالى: الإيمان والتسليم بما جاء في كتاب الله تعالى، وصحَّ عن رسوله ﷺ في أسماء الله وصفاته وأفعاله، على القاعدة الشرعية المعروفة وهي: **إثبات من أثبته الله لنفسه في كتابه وما أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات والأفعال من غير تكييف ولا تشبيه، ونفي ما نفاه الله عن نفسه ونفاه عنه رسوله ﷺ من غير تأويل ولا تعطيل** كما قال سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١]، وقال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ﴾ [الأعراف: ١٨٠] وكما قال الإمام مالك وغيره لما سئل عن الاستواء: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة».

فإثبات الصفات عن السلف مقيَّدٌ بنفي التشبيه والتمثيل، ونفي التعطيل والتأويل، وهذا هو القول الحق العدل الوسط بين

الممثلة والمعطلة. أما أهل الأهواء والبدع والافتراق فهم في أسماء الله وصفاته وأفعاله على طرفي نقيض بين الغلو والتفريط.

فطوائف غلت في الإثبات حتى مالت إلى التشبيه والتجسيم وإحداث الأسماء والصفات والمقالات التي لا تليق بالله، وهم: الممثِّلة والمشبِّهة والمجسِّمة. ومقالاتهم وأصولهم ومواقف السلف منهم هي موضوع هذه الحلقة.

وطوائف أخرى عكسها فرَّطت بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ من أسماء الله وصفاته، وأعرضت عن الوحي في ذلك، واتبعت مناهج الفلاسفة والأمم الضالة، وحكَّمت عقولها في الغيب؛ فتجرأت على نفي أسماء الله وصفاته وأفعاله أو بعضها، بالتعطيل أو التأويل وهم: الجهمية والمعتزلة ومن سلك سبيلهم وجاراهم في بعض أصولهم من متكلمة الأشاعرة والماتريدية ونحوهم.

هذا وقد اخترت لعنوان هذه الطائفة (المشبهة) لأنه الأشهر والمتعارف عليه عند غالب العلماء وكُتَّاب المقالات والفرق والباحثين قديماً وحديثاً، أما الأصوب فهو تسميتها

(بالممثِّلة) لأن الله تعالى إنما نفى عن نفسه المماثلة فقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ أما التشبيه والتجسيم ونحوهما فهي من الأوصاف المبتدعة والعبارات المجملة التي قد تحتمل الخطأ أو الصواب في معناها، وقد يطلقها أهل التأويل والتعطيل على أهل الحق المثبتين للصفات الواردة في الكتاب والسنة. والله أعلم.

تعريف المشبِّهة والممثِّلة:

تطلق المشبهة والممثلة على كل من زعم أن الله تعالى مثل خلقه في أسمائه وصفاته وأفعاله أو بعضها، هذا على اعتبار أن التمثيل والتشبيه مترادفان في الاصطلاح، مع العلم أن المنفي في القرآن هو التمثيل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ وأما التشبيه فهو لفظ مجمل يحتاج في نفيه أو إثباته إلى التفصيل كما كان السلف يفعلون. كما قد يطلق التشبيه على من شبَّه الخلق أو بعض الخلق بالله تعالى، ومن اعتقد أن في بعض المخلوقين شيئاً من خصائص الخالق سبحانه كعلم الغيب وإحياء الموتى فقد شبَّه.

المقصود بالتشبيه والتمثيل شرعاً:

فالتمثيل والتشبيه الذي نهى الله عنه ورسوله، وتكلم السلف في تبديع أهله: **هو القول بأن الله تعالى مثلُ أحد من خلقه في شيء من أسمائه أو صفاته أو أفعاله سبحانه وتعالى**، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى: ١١]، وليس فيما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ تشبيهاً ولا تمثيلاً، وَزَعْمُ المعطلة والمؤولة أن إثبات ما أثبته الله لنفسه وما أثبته له رسوله ﷺ يكون تشبيهاً أو تمثيلاً أو تجسيماً أو حشواً أو نحو ذلك، إنما هو من الزيغ ولبس الحق بالباطل، كما ذكر السلف.

وخلاصة القول في تعريف التشبيه: أنه يعني وصف الله بشيء مما هو من خصائص المخلوقات، أو أضاف إلى المخلوق شيئاً من خصائص الخالق سبحانه.

مفهوم التشبيه عند أهل الكلام:

أهل الكلام المذموم حين ظنوا أن إثبات الصفات لله تعالى أو بعضها تشبيهاً فقد وضعوا للتشبيه معنى باطلاً وهم في ذلك أصناف:

الصنف الأول: الذين زعموا أن إثبات أي شيء مما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ يعد تشبيهاً وتجسيماً وتمثيلاً. وهم الجهمية المعطلة الخلَّص أتباع الجهم بن صفوان المقتول سنة (١٢٨هـ) الذي قال عنه الذهبي: «الضال المبتدع رأس الجهمية، هلك في زمان التابعين وما علمته روى شيئاً، ولكنه زرع شرًّا عظيماً»[١].

والصنف الثاني: الذين زعموا أن إثبات الصفات لله تعالى تشبيهاً وتجسيماً وتمثيلاً، وهم الجهمية المعتزلة نفاة الصفات.

والصنف الثالث: الذين زعموا أن إثبات الصفات الفعلية والذاتية لله تعالى الواردة في الكتاب والسنة يكون تشبيهاً وتجسيماً وتمثيلاً. وهم أهل الكلام من الماتريدية والأشاعرة ومن سلك سبيلهم حيث لا يثبتون لله تعالى إلا ما يسمونه صفات المعاني، ويؤولون ما سواها.

وهؤلاء الأصناف كلهم يجعلون مذهب السلف وما كان عليه الصحابة والتابعون وأعلام الهدى كالأئمة الأربعة وأهل

---

(١) ميزان الاعتدال (١/ ٤٢٦) وسير أعلام النبلاء (٢/ ١٤٢).

الحديث، من مذهب المجسمة والمشبهة والممثلة، وهذا من البهتان أو الجهل بحقيقة مذهب السلف، والله حسبنا ونعم الوكيل.

أصول المشبهة وسماتها:

١ ـ تقوم أصول المشبهة على زعمهم أن الله تعالى مثل خلقه، أو بعض خلقه، في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله أو شيء منها.

٢ ـ أن المشبهة من فرق أهل الكلام المذموم من حيث مناهج التلقي والاستدلال والسمات، فهم كسائر أهل الأهواء والابتداع خاضوا فيما ليس لهم به علم، وجادلوا بالباطل وعرّضوا دينهم للخصومات، وخرجوا عن نهج السلف والسنة.

٣ ـ أن أهم سبب في ظهور التشبيه هو تعطيل الجهمية والمعتزلة وتأويلات أهل الكلام كالأشاعرة والماتريدية فكانت هذه مقابل تلك.

٤ ـ أكثر المشبهة من الرافضة، وهم أول من أنشأ بدعة التجسيم والتشبيه والتمثيل في أول القرن الثاني الهجري،

مع العلم أن فرق المشبهة الأولى (من الرافضة) قد اندثرت وتحولت إلى جهمية ومعتزلة، وبعض أهل المقالات يجعلون الكرامية والمقاتلية فرقاً مشبهة خالصة، وقد اندثرت.

٥ ـ أن التشبيه كثير في بعض متأخري الصوفية[١].

٦ ـ غالب المعطلة والمؤولة كالجهمية، والمعتزلة، وأهل الكلام، من الأشاعرة، والماتريدية ومن سلك سبيلهم قد يقصدون بالمشبهة والمجسمة والحشوية: أهل السنة؛ لأنهم يسمون الإثبات على مذهب السلف تشبيهاً وتجسيماً وحشواً. وهذا من البهتان ولبس الحق بالباطل.

٧ ـ القول بالتمثيل والتشبيه قليل وشاذ في الأمة، وإنما هوّل المعطلةُ من هذه المسألة؛ لأنهم يصفون جميع الصفاتية بالتشبيه والتجسيم، ثم المؤولة من متكلمي الكلابية، والأشاعرة، والماتريدية يصفون المثبتة لصفات الله تعالى (وهم سلف الأمة، أئمة الهدى، أهل الحديث) بالمشبهة والمجسمة والحشوية.

---

(١) انظر: تلبيس إبليس (١٧٤).

٨ ـ أن ما وقع فيه بعض جهلة المنتسبين للسنة والحديث من المبالغة في الإثبات أو نحو ذلك ليس هو مذهب السلف.

قال شيخ الإسلام: «ومما يبيِّن ذلك أنه ليس في كتاب الله ولا سنة رسوله ولا كلام أحد من الصحابة والتابعين، ولا الأكابر من أتباع التابعين ذم المشبهة وذم التشبيه، أو نفي مذهب التشبيه ونحو ذلك، إنما اشتهر هذا من جهة الجهمية كما ذكره الإمام أحمد، ثم قابلهم قوم من أهل الإثبات والرافضة وغلاة أهل الحديث فزادوا في الإثبات حتى دخلوا في التمثيل المنفي في الكتاب والسنة، وذلك تشبيه مذموم، فذمَّ بقايا تابعي التابعين ومن بعدهم من أئمة السنة هذا التشبيه، وذموا المشبهة بهذا التفسير»[١].

نشــأة التشــبيه:

عرفنا أن نشأة القول بالتشبيه كانت على أضرب:

الأول: من تأثير الأمم السابقة والنحل الضالة من اليهود والنصارى والصابئة ونحوهم.

---

(١) بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٢٠٧، ٢٠٨)، (اليحيى).

الثاني: من توهمات الجاهلين والفرق الضالة كالرافضة.

والثالث: ما كان ردة فعل ضد التعطيل الذي أعلنته الجهمية في أوائل القرن الثاني الهجري.

ويقال إن أول من شبَّـه الله بخلقه بيان بن سمعان المقتول سنة (١١٨هـ) (رافضي) وتنسب إليه الفرقة (البيانية) وقد زعم ـ قبحه الله ـ أن جزءاً إلهياً حلَّ في علي رضي الله عنه وبعض ذريته[١]، وهذا من عقائد فرق النصارى واليهود والأمم الضالة.

قال النوبختي (أحد مؤرخي الشيعة): «وكان بيان يقول هو وأصحابه: إن الله تبارك وتعالى يشبه الإنسان، وهو يفنى وتهلك جميع جوارحه إلا وجهه، وتأولوا في ذلك قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[٢] [القصص: ٨٨]، وقد قتله خالد بن عبدالله القسري المتوفى سنة (١٢٦هـ).

---

(١) انظر: مقالات الإسلاميين (١/٦٦، ٦٧) مع الهامش.
(٢) فرق الشيعة للنوبختي (٣٩). وانظر: مقالات الإسلاميين (١/٦٦)، ومنهاج السنة (٢/٥٠٢).

وكـذلك قـال بالتشـبيه: المغــيرة بـن سـعيد العجلي أو (البجلي) (رافضي) وتنسب إليه الفرقة (المغيرية)[١] قتل سنة (١١٩هـ)[٢] «زعموا أن معبودهم رجل من نور، على رأسه تاج وله أعضاء»[٣] تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

وقد فشا التشبيه بين بقية فرق الشيعة كالمنصورية والخطابية، والجناحية، والحلولية، والمقنعية، والهشامية (أتباع هشام بن الحكم، وأتباع هشام الجواليقي) (فرقتان)، واليونسية، والداوودية (الجواربية)، والزرارية، والشيطانية، وكلها من فرق الشيعة[٤].

وأغلب هذه الفرق انقرضت وتحولت إلى المنهج العام الذي استقرت عليه الشيعة الرافضة والزيدية التي تحولت أيضاً إلى فرق كلامية: معتزلة وجهمية وغيرها.

---

(١) مقالات الإسلاميين (١/ ٦٩، ٧٢)، ومنهاج السنة (٢/ ٥٠٣).
(٢) تاريخ الطبري (٤/ ١٧٤).
(٣) مقالات الإسلاميين (١/ ٦٩، ٧٢).
(٤) انظر: التبصير للاسفراييني (١١٩ ـ ١٢١)، ومقالات الإسلاميين (١/ ٦٧ ـ ٧٩، ٢٣٥، ٢٨٠).

وكذلك النوع الثاني من التشبيه وهو تشبيه الخلق بالله تعالى أول من قال به في الإسلام ابن سبأ وأتباعه من السبئية الأولى أسلاف الرافضة، فقد زعم ابن سبأ أن عليًّا رضي الله عنه هو الله، ولما علم بهم علي أحرقهم بالنار[١].

ولا تزال آثار هذه العقيدة راسخة في عقائد الرافضة في عليٍّ رضي الله عنه وفي أئمة آل البيت من بعده، حيث يجعلون لهم خصائص الألوهية، فيزعمون أنهم يعلمون الغيب، ويتصرفون في مقاليد الكون ومصائر البشر، وأن الدنيا والآخرة كلها للإمام المعصوم بزعمهم[٢].

* * *

---

(١) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٨٦)، وخطط المقريزي (٣/ ٢٦٤)، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (١/ ٤٢٥)، والفرق بين الفرق (٢١٣، ٢١٤).

(٢) انظر: أصول الكافي (١/ ٤٠٧ ـ ٤١٠)، ومرآة الأنوار (٥٩)، وتفسير العياشي (٢/ ٣٥٣)، وتفسير القمي (٢/ ٤٧)، وكلها مراجع رافضية. وانظر: أصول مذهب الشيعة الإمامية للدكتور ناصر القفاري (٢/ ٥٠٧ ـ ٥٢٤).

أول من ابتدع الكلام بلفظ الجسم نفياً أو إثباتاً وموقف السلف من ذلك

أول من تكلم بالجسم نفياً أو إثباتاً هم الجهمية والمعتزلة والشيعة، وهم أهل الكلام الذين ذمهم السلف وذمُّوا طريقتهم.

فالسلف يثبتون ما أثبته الله لنفسه وما أثبته له رسوله ﷺ، وينفون عن الله تعالى ما نفاه عن نفسه، وما نفاه عنه رسوله ﷺ، وما لم يرد الشرع فيه بنفي ولا إثبات يتوقفون فيه ويفصّلون فلا ينفون مطلقاً؛ لأنه قد يحتمل معنى صحيحاً، فيثبت هذا المعنى الصحيح اللائق بالله تعالى، ويرد إلى ألفاظ الشرع، وقد يحتمل معنى فاسداً فيرد المعنى الفاسد.

أما أول من نسب إليه ذلك فهو هشام بن الحكم الرافضي:

قال شيخ الإسلام: «وأول من عُرف عنه في الإسلام أنه قال: إن الله جسم هو هشام بن الحكم»[(١)] الرافضي، ونقل

(١) منهاج السنة (١/ ٧٣).

شيخ الإسلام عن الجاحظ (ت ٢٥٠هـ) في كتابه «الحجج في النبوة» قوله: «ليس على ظهرها رافضي إلا ويزعم أن ربَّه مثله»[١].

قلت: ولعل هذه مبالغة من الجاحظ، فإن الرافضة المعاصرين للجاحظ كان منهم جهمية ومعتزلة معطلة، أو يحمل قوله على أنهم إنما وقعوا في التعطيل حينما توهموا التشبيه.

ونستنتج من هذا أمرين:

الأول: أن منشأ التجسيم من الرافضة تبعاً لليهود والأمم الضالة الأخرى.

الثاني: أن الرافضة الأولين كان سائرهم مجسمة، وأن قولهم بأقوال المعتزلة والجهمية كان متأخراً، بل ذكر شيخ الإسلام في المنهاج أنه في أواخر المائة الثالثة دخل من دخل من الشيعة في أقوال المعتزلة، كابن النوبختي (ت ٣١٠هـ) صاحب كتاب (الآراء والديانات) وأمثاله، وجاء بعد هؤلاء

---

(١) منهاج السنة (١/ ٧٢).

المفيد بن النعمان (ت ٤١٣هـ) وأتباعه[١].

قال شيخ الإسلام: «وقد قيل: أول من قال في الإسلام أن القديم جسم هو هشام بن الحكم، كما أن أول من أظهر في الإسلام نفي الجسم هو الجهم بن صفوان، وكلام السلف والأئمة في ذم الجهمية كثير مشهور، فإن مرض التعطيل شر من مرض التجسيم، وإنما كان السلف يذمون المشبهة كما قال الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه، وإسحاق بن راهويه وغيرهما قالوا: المشبهة الذين يقولون بصر كبصري، ويد كيدي، وقدم كقدمي»[٢].

مقاتل بن سليمان (ت١٥٠هـ) رُمي بالتشبيه والتجسيم:

مقاتل بن سليمان البلخي ـ أبو الحسن ـ صاحب التفسير رُمي بالقول بالتشبيه لكنه حجة في التفسير، وكانت فيه جرأة وجسارة على القول بما لا علم له به، وخلط في التلقي.

قال ابن حبان: «كان يأخذ عن اليهودي والنصراني من

---

(١) منهاج السنة (١/ ٧٣).
(٢) الفتاوى (١٣/ ١٥٤).

علـم القـرآن مـا يـوافـق كتبهـم، وكـان مشبهـاً يشبـه الـربَّ بالمخلوقين ويكذب في الحديث»[١].

وسئل ابن المبارك أيضاً عن مقاتل بن سليمان فقال: «رحمه الله لقد ذكر لنا عنه عبادة»[٢].

وعن إسحاق بن راهويه قال: «أخرجت خراسان ثلاثة لم يكن لهم نظير في البدعة: الجهم بن صفوان، وعمر بن صبيح، ومقاتل بن سليمان»[٣].

وعن أبي حنيفة قال: أتانا من المشرق رأيان خبيثان: جهم معطل، ومقاتل مشبه[٤].

إن أبا حنيفة ذُكر عنده جهم ومقاتل فقال: كلاهما مفرط، أفرط جهم في نفي التشبيه حتى قال إنه ليس بشيء، وأفرط مقاتل حتى جعل الله مثل خلقه»[٥].

---

(١) تاريخ الإسلام (١٤١ ـ ١٦٠/ ٦٣٩، ٦٤٢).
(٢) تاريخ الإسلام (١٤١ ـ ١٦٠/ ١٦١، ٦٤٢).
(٣) تاريخ الإسلام (١٤١ ـ ١٦٠/ ١٦١، ٦٤٢).
(٤) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٠٢) وتهذيب التهذيب (١٠/ ١٨١).
(٥) تاريخ الإسلام (١٤١ ـ ١٦٠/ ١٦١، ٦٤٢).

وقال أبو يوسف: «بخراسان صنفان ما على الأرض أبغض إليّ منهما: المقاتلية والجهمية».

وقال أحمد بن سيار في تاريخه: «مقاتل متروك مهجور القول، وكان يتكلم في الصفات بما لا تحل الرواية عنه»[١].

وقال الشافعي: «الناس في التفسير عيال على مقاتل»[٢].

وقال الذهبي: «قال ابن المبارك: ما أحسن تفسيره لو كان ثقة، وعن العباس بن الوليد: إن مقاتلاً جلس في مسجد بيروت فقال: لا تسألون عن شيء مما دون العرش إلا نبأتكم به»[٣].

وقال أبوإسحاق الجوزجاني: كان مقاتل بن سليمان دجالاً جسوراً، سمعت أبا اليمان يقول: قدم ها هنا فلما أن صلى أسند ظهره إلى القبلة وقال: سلوني عما دون العرش، وحدث أنه قال مثلها بمكة. فقال رجل: أخبرني عن النملة أين

---

(١) تاريخ الإسلام (١٤١ ـ ١٦٠/ ٦٤١).
(٢) تاريخ الإسلام (١٤١ ـ ١٦٠/ ٦٤٢).
(٣) تاريخ الإسلام (١٤١ ـ ١٦٠/ ٦٣٩).

أمعاؤها؟ فسكت».

وقال البخاري: قال ابن عيينة: سمعت مقاتلاً يقول: إن لم يخرج الدجال الأكبر سنة خمسين ومائة فاعلموا أني كذاب»[(١)].

قلت: وعلى هذا إن صح الخبر فقد شهد على نفسه بالكذب والدجل، وإن البلاء موكول بالمنطق. واتفق أهل العلم على أنه ليس بشيء في الحديث.

وهكذا نجد أن اتهام مقاتل بالتشبيه مجمل لم نطلع على تفاصيل مقالته لكن يغلب على الظن أنه يبالغ في الإثبات، وقد يتجاوز النصوص وما عليه جمهور السلف والله أعلم، لكن الذين حكوا عنه القول بالتجسيم هم أهل الكلام من المعتزلة والجهمية، وما ذكره الأشعري في المقالات عن مقاتل منقول عن المعتزلة وهم خصوم مقاتل، فربما كان ذلك من الكذب عليه أو الالزامات، ولسنا بهذا ندعي تبرئته فقد ذمه بعض السلف في الجملة، وذموا منهجه لكنهم لم يذكروا التفصيلات

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي (١٤١ ـ ١٦٠/ ٦٤٠).

التي حكاها عنه المعطلة، ولذلك كان شيخ الإسلام ابن تيمية يتوقف في نسبة القول بالتشبيه إلى مقاتل فقال:

«. . . **أما مقاتل فالله أعلم بحقيقة حاله، والأشعري نقل هذه المقالات من كتب المعتزلة، وفيهم انحراف على مقاتل بن سليمان، فلعلهم زادوا في النقل عنه، أو نقلوا عنه[١]، أو نقلوا عن غير ثقة، وإلا فما أظنه يصل إلى هذا الحد**، وقد قال الشافعي: «من أراد التفسير فهو عيال على مقاتل، ومن أراد الفقه فهو عيال على أبي حنيفة»، ومقاتل بن سليمان وإن لم يكن ممن يحتج به في الحديث، بخلاف مقاتل بن حيان، فإنه ثقة، لكن لا ريب في علمه بالتفسير وغيره واطلاعه، كما أن أباحنيفة وإن الناس خالفوه في أشياء، وأنكروها عليه فلا يستريب أحدٌ في فقهه وفهمه وعلمه، وقد نقلوا عنه أشياء يقصدون بها الشناعة عليه، وهي كذب عليه قطعاً. . . وما يبعد أن يكون النقل عن مقاتل من هذا الباب»[٢].

---

(١) كذا في منهاج السنة تحقيق د/ محمد رشاد سالم.
(٢) منهاج السنة (٢/٦١٩).

الكرامية (أتباع محمد بن كرام) (ت٢٥٥هـ) رموا بالتجسيم والتشبيه:

قال الذهبي في ترجمة ابن كرام: «السجستاني المبتدع، شيخ الكرامية، كان زاهداً عابداً ربانياً بعيد الصيت، كثير الأصحاب لكنه يروي الواهيات كما قال ابن حبان، خذل حتى التقط من المذاهب أرداها، ومن الأحاديث أوهاها»[١].

ثم قال الذهبي أيضاً: «قلت: كان يقول: الإيمان نطق اللسان بالتوحيد، فجردوا عن عقد قلب وعمل جوارح، وقال خلق من الأتباع له بأن الباري جسم لا كالأجسام، وأن النبي تجوز منه الكبائر سوى الكذب، وقد سجن ابن كرام ثم نفي، وكان ناشفاً عابداً قليل العلم»[٢].

وقال الذهبي أيضاً: «وكانت الكرامية كثيرين بخراسان ولهم تصانيف، ثم قلوا وتلاشوا نعوذ بالله من الأهواء»[٣].

---

(١) سير أعلام النبلاء (١١/ ٥٢٣).
(٢) سير أعلام النبلاء (١١/ ٥٢٤).
(٣) سير أعلام النبلاء (١١/ ٥٢٤).

وعيب الكرامية كما ذكر أهل العلم عنهم أنهم بالغوا في إثبات الصفات، وأطلقوا لفظ الجسم، وهذا قول بدعي، وإن فسَّروه بمعنى القائم بنفسه فهذا خلط منهم، فإن لفظ الجسمية لفظ مبتدع موهم للتشبيه، وموقع في لوازم بدعية التزمها الكرامية، أما ما ذكره عنهم خصومهم من أنهم قالوا بصفات لم ترد كالمعانقة والمصافحة والجوف فهذا لعله من الإلزام لهم أو الكذب عليهم من قبل أهل الكلام، كما كذبوا على أهل السنة.
والوقائع التي حصلت بين الكرامية وبين متكلمة الأشاعرة كما حصل بين ابن الهيثم وابن فورك، وبين ابن مهاجر والبغدادي، وبين ابن القدوة والرازي ـ تدل هذه الوقائع على أن الكرامية في هذه المسائل كانوا أقرب إلى الحق من الأشاعرة، لكنهم ابتدعوا وزادوا في الإثبات بما ليس عند السلف، ووقعوا فيما ذمه السلف من المصطلحات الكلامية، واللوازم التي لا تليق بصفات الله تعالى وكماله سبحانه، والله أعلم.

التشبيه بين الصوفية والرافضة:

بعض المتصوفة يعتقدون في الله تعالى ما لا يجوز عليه من أحوال البشر، إذ زعموا أنهم يرونه في الدنيا بأبصارهم

وأنهم يجالسونه ويصافحونه، تعالى الله عما يقوله الظالمون علواً كبيراً، وهم بذلك يفترون على الله الكذب، وقد يظهر لهم الشيطان فيوهمهم أنه ربهم. نعوذ بالله من ذلك.

قال ابن الجوزي: «وقد حكى أبوالقاسم عبدالله بن أحمد البلخي في كتاب المقالات قال: قد حكى قوم من المشبهة أنهم يجيزون رؤية الله تعالى بالأبصار في الدنيا، وأنهم لا ينكرون أن يكون بعض من تلقاهم في السكك، وإن قوماً يجيزون مع ذلك مصافحته وملازمته وملامسته، ويدّعون أنهم يزورونه ويزورهم، وهم يسمون بالعراق: أصحاب الباطن، وأصحاب الوساوس، وأصحاب الخطرات.

قال المصنِّف: وهذا فوق القبيح، نعوذ بالله من الخذلان»[(١)]. اهـ.

وهذا نوع من التشبيه عند الصوفية، يوافقون به سائر المشبهة والممثلة والمجسمة. ومن التشبيه عند الصوفية ما يكون بتشبيه المخلوق بالخالق، فهو عكس قول الممثلة

---

(١) تلبيس إبليس (١٧٤).

والمشبهة والمجسمة الذين مرّ ذكرهم الذين يشبِّهون الخالق بالمخلوق.

والرافضة وكثير من الفرق الباطنية تشارك الصوفية الغالية في كثير من أنواع التشبيه، ومنها الغلو في الأشخاص ووصفهم بصفات الربوبية والألوهية، فهم ـ الصوفية والرافضة ومن سلك سبيلهم ـ بهذا يشبهون المخلوق بالخالق سبحانه حين يعتقدون أن لبعض الأشخاص تصرفاً في الكون أو بعض الكون، وأنهم يعلمون الغيب، وعليه فإنهم بزعمهم يستحقون العبادة، وينفعون أو يضرون من دون الله. ولذلك صاروا يصرفون لهم أنواع العبادة كالدعاء والنذر والذبح والطواف والتشريع ونحو ذلك.

وقد ينتهي هذا المعتقد الفاسد عند بعضهم إلى القول بالحلول كما فعل الحلاج المقتول سنة (٣٠٩هـ)، ووحدة الوجود كما فعل ابن عربي الطائي ت(٦٨٣هـ). أو الاتحاد كما فعل ابن الفارض ت(٦٣٢هـ).

أسباب ظهور التشبيه في الفرق:

١ ـ أول سبب في ظهور التشبيه وسائر البدع هو الجهل والهوى

والإعراض عن الكتاب والسنة واتباع غير سبيل المؤمنين.

٢ ـ ولعل ثاني سبب للقول بالتشبيه في الأمة ظهور التعطيل، أي إنكار أسماء الله وصفاته وأفعاله أو شيء منها، فالمعطلة أتوا من قبل المبالغة في التنزيه، وقابلتهم الممثلة بالمبالغة في الإثبات والغلو في ذلك بما لم يرد في الكتاب والسنة. والعكس صحيح كذلك، فإن من أسباب ظهور التعطيل وشيوعه: التشبيه، فإن بعض جهلة أهل الكلام هالهم القول بالتشبيه فوقعوا في التعطيل، والله أعلم.

فلما قال الجهم بالتعطيل قال مقاتل بالتجسيم.

ولما تكلم أبوالهذيل المعتزلي وأتباعه في نفي الجسم، أثبته هشام بن الحكم الرافضي وأتباعه مقابل ذلك، وهكذا سائر البدع.

٣ ـ مضاهاة أهل الكتاب والديانات الأخرى التي يوجد التشبيه في بعض فرقها، ومن ذلك دخول كثير من اتباع الملل والنحل الضالة في الإسلام كالفرس واليهود دون أن يتفقهوا في الدين فبنوا على عقائدهم الفاسدة، ومنهم من قصد الكيد بالإسلام.

٤ ـ وكذلك الغلو في علي ـ رضي الله عنه ـ وآل البيت من قبل الشيعة السبئية، حيث اعتقدوا حلول الإله فيه، ومن هنا تصوروا التشبيه والتجسيم لله تعالى كالإنسان، وكذلك غلو بعض الصوفية في الأشخاص واعتقاد بعضهم الحلول.

وبالجملة: فإن ما ذكرته آنفاً وهو مبالغة المعطلة في نفي صفات الله تعالى وتأويلها جعل بعض الجهلة يبالغون في الإثبات إلى حد التشبيه، والتساهل والتوسع في استحداث الألفاظ المبتدعة، والله أعلم.

أكثر ما ذكره أصحاب المقالات وأهل الكلام في التشبيه والتجسيم قد لا يصح عن أحد أو مبالغ فيه أو من باب الإلزام:

أكثر المقالات التي نسبت إلى المشبهة قد لا تثبت نسبتها إلى أحد، وكثير منها يدخل في الإلزامات والتفريعات والتخرصات التي لم تؤثر عن أحد، وهذه حال كثير من الآراء والمقالات في أكثر الفرق، بل بعض كُتَّاب المقالات ورواتها لا يتورعون عن الكذب والبهتان، أما عدم التثبت فهو سمة غالبة عليهم.

قال شيخ الإسلام: «فعُلم أن القول بأنه جوهر كالجواهر،

أو جسم كالأجسام، سواء جُعل التشبيه لكل منها، أو بالقدر المشترك بينها، لم تقل به طائفة معروفة أصلاً. فإن كان النزاع ليس إلا مع هؤلاء، فلا نزاع في المسألة، فتبقى بحوثه المعنوية في ذلك ضائعة، وبحوثه اللفظية غير نافعة، مع أني إلى ساعتي هذه لم أقف على قول لطائفة، ولا نقل عن طائفة أنهم قالوا: جسم كالأجسام، مع أن مقالة المشبهة الذين يقولون: يد كيدي، وقدم كقدمي، وبصر كبصري، مقالة معروفة. وقد ذكرها الأئمة كيزيد بن هارون، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه وغيرهم، وأنكروها وذمّوها، ونسبوها إلى مثل داود الجواربي البصري وأمثاله.

ولكن مع هذا صاحب هذه المقالة لا يمثله بكل شيء من الأجسام، بل ببعضها، ولابد مع ذلك أن يثبتوا التماثل من وجهٍ والاختلاف من وجه، لكن إذا أثبتوا من التماثل ما يختص بالمخلوقات، كانوا مبطلين على كل حال»[١].

أعظم فرية وبهتان على السلف لمزهم بالتشبيه والحشو والتجسيم:

أعظم فرية أطلقها أهل التعطيل (الجهمية والمعتزلة)

---

(١) درء التعارض (٤/ ١٤٤، ١٤٥).

وأهل التأويل (الأشاعرة والماتريدية) ومن سلك طريقتهم، وصفهم مذهب السلف تشبيهاً وتجسيماً وحشواً، ولمز السلف بالمشبهة والمجسمة والحشوية، سبحان الله ﴿هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ بل إن بعضهم أدخل مذهب السلف في فرق المشبهة كالشهرستاني والعراقي والرازي، والغزالي، حيث خلطوا بين أقوال المشبهة وأقوال السلف.

قال شيخ الإسلام: «وأما قول القائل حشوية فهذا اللفظ ليس له مسمى معروف لا في الشرع ولا في اللغة، ولا في العرف العام، ولكن يُذكر أن أول من تكلم بهذا اللفظ عمرو بن عبيد وقال: كان عبدالله بن عمر رضي الله عنه حشوياً، وأصل ذلك أن كل طائفة قالت قولاً تخالف به الجمهور والعامة ينسب إلى أنه قول الحشوية أي الذين هم حشو الناس ليسوا من المتأهلين عندهم، فالمعتزلة تسمي من أثبت القدر حشوياً، والجهمية يسمون مثبتة الصفات حشوية، والقرامطة كأتباع الحاكم يسمون من أوجب الصلاة والزكاة والصيام والحج حشوياً، وهذا كما أن الرافضة يسمون قول أهل السنة والجماعة قول الجمهور، وكذلك الفلاسفة تسمي ذلك قول الجمهور،

فقول الجمهور وقول العامة من جنس واحد»[١].

وقال شيخ الإسلام أيضاً في لفظ الحشوية: «هذا اللفظ أول من ابتدعه المعتزلة، فإنهم يسمون الجماعة والسواد الأعظم: الحشو. كما تسميهم الرافضة: الجمهور. وحشو الناس هم عموم الناس وجمهورهم، وهم غير الأعيان المتميزين يقولون: هذا من حشو الناس كما يقال: هذا من جمهورهم.

وأول من تكلم بهذا عمرو بن عبيد، وقال: كان عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنه ـ حشوياً، فالمعتزلة سموا الجماعة حشواً»[٢].

قلت: ثم صارت الماتريدية ومتأخرة الأشاعرة يلمزون السلف بالحشوية والمجسمة والمشبهة كما فعل البغدادي والجويني والشهرستاني والرازي والماتريدي والكوثري وغيرهم.

ومن ذلك وصف الحنابلة «وهم يمثلون مذهب السلف غالباً» بالمشبهة والمجسمة:

أهل الكلام المتأخرون يسمون أهل السنة (الحنابلة) نسبة

(١) الفتاوى (١٢/ ١٧٦).
(٢) الفتاوى (٣/ ١٨٦).

إلى إمام السنة أحمد بن حنبل، ثم زعموا أن الحنابلة (أهل السنة) مشبهة ومجسمة، لأنهم يثبتون الصفات كما ورد في القرآن والسنة من غير تأويل ولا تكييف.

قال شيخ الإسلام: «المشبهة والمجسمة في غير أصحاب الإمام أحمد أكثر منهم فيهم، فهؤلاء أصناف الأكراد كلهم شافعية، وفيهم من التشبيه والتجسيم ما لا يوجد في صنف آخر، وأهل جيلان فيهم شافعية وحنبلية، وأما الحنبلية المحضة فليس فيهم من ذلك ما في غيرهم، والكرامية المجسمة كلهم حنفية»[(١)].

وقد ردَّ ابن تيمية على ابن رشد في وصف الحنابلة بالتجسيم فقال:

«**قلت**: ولقائل أن يقول: أما قوله: «صار كثير من أهل الإسلام يقول: إنه جسم لا يشبه الأجسام» فهذا صحيح.

وأما قوله: «**وعلى هذا الحنابلة وكثير ممن اتبعهم**». فيقال له: **ليس في الحنابلة من أطلق لفظ «الجسم» لكن نفاة**

---

(١) الفتاوى (٣/١٩٧).

الصفات يسمون كل من أثبتها مجسِّماً بطريق اللزوم. إذ كانوا يقولون: إن الصفة لا تقوم إلا بجسم، وذلك لأنهم اصطلحوا في معنى الجسم على غير المعنى المعروف في اللغة، فإن الجسم في اللغة هو البدن، وهؤلاء يسمون كل ما يشار إليه جسماً، فلزم ـ على قولهم ـ أن يكون ما جاء به الكتاب والسنة، وما فطر الله عليه عباده، وما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها تجسيماً. وهذا لا يختص طائفة لا الحنابلة ولا غيرهم، بل يطلقون لفظ المجسِّمة والمشبهة على أتباع السلف كلهم، حتى يقولوا في كتبهم «ومنهم طائفة يقال لهم المالكية ينتسبون إلى مالك بن أنس، ومنهم طائفة يقال لهم الشافعية ينتسبون إلى الشافعي» لكن لما جرت محنة الجهمية نفاة الصفات وسموا من أثبتها مجسِّماً في عهد الإمام أحمد، وقالوا: إنه لا يُرى، ونحو ذلك ـ قام أحمد بن حنبل من إظهار السنة والصفات، وإثبات ما جاء في الكتاب والسنة من هذا الباب بما لم يحتج إليه غيره من الأئمة، وظهر ذلك في جميع أهل السنة والحديث من جميع الطوائف، وصاروا متفقين على تعظيم أحمد وجعله إماماً للسنة، فصار يَظْهرُ في أصحابه من الإثبات ما لا يظهر في غيرهم، بسبب كثرة نصوصهم في هذا الباب. والنفاة يسمون

المثبتة مجسِّمة ومشبِّهة. وصاحب هذا الكتاب[١] يجعل مثبتة الصفات ـ من الأشعرية ونحوهم ـ مشبهة، وأنه يلزمهم التركيب، والتركيب أصل التجسيم[٢].

قلت: إذا كانت الجهمية ـ وأكثرهم أحناف ـ وكذلك المعتزلة وفيهم أحناف ومالكية وشافعية والماتريدية وأغلبهم أحناف، والأشاعرة وهم شافعية ومالكية ـ إذا كان هؤلاء يرون مثبتة الصفات الذاتية والفعلية مشبهة ومجسمة؛ فإن أئمة السنة: أباحنيفة ومالك والشافعي وأحمد وغيرهم كثيرين عندهم مشبهة ومجسمة فماذا هم قائلون؟!

موقف السلف من المشبهة:

السلف ذموا أهل الكلام كلهم؛ من النفاة للألفاظ المبتدعة، وهم المعطلة، والمثبتة لها وهم المشبهة؛ لأن هذا كله من القول على الله بغير علم، ومن الإلحاد في أسماء الله وصفاته، ومن اتباع المتشابه، وما يفضي إليه ذلك من تعطيل الصفات أو التمثيل فيها، والمراء والجدل المحرم، وكل ذلك مما حرمه الله.

---

(١) يعني ابن رشد.
(٢) درء التعارض (١٠/ ٢٥٠ ـ ٢٥١).

وقال شيخ الإسلام: «مع أن السلف والأئمة لم يختلفوا أن نفاة الجسم أعظم ضلالاً وابتداعاً من مثبتيه، بل الأئمة والسلف تواتر عنهم من ذم الجهمية ما لا يحصيه إلا الله، ولهم أيضاً كلام في ذم المشبهة لكن أقل من ذم الجهمية بكثير»(١).

وقال: «ومما يوضح هذا أن السلف والأئمة كثر كلامهم في ذم الجهمية النفاة للصفات، وذموا المشبِّهة أيضاً، وذلك في كلامهم أقل بكثير من ذم الجهمية؛ لأن مَرَضَ التعطيل أعظمُ من مرض التشبيه، وأما ذكر التجسيم وذم المجسِّمة فهذا لا يعرف في كلام أحد من السلف والأئمة، كما لا يعرف في كلامهم أيضاً القول بأن الله جسم، أو ليس بجسم، بل ذكروا في كلامهم الذي أنكروه على الجهمية نفي الجسم، كما ذكره أحمد في كتاب الرد على الجهمية: ولما ناظر برغوث وألزمه برغوث بأنه جسم، امتنع أحمدُ من موافقته على النفي والإثبات، وقال: هو أحد صمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد»(٢).

وقال: «ولهذا اتفق السلف والأئمة على الإنكار على المشبّهة،

---

(١) بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٥٥٩) (اللاحم).
(٢) درء التعارض (١/ ٢٤٩).

الذين يقولون: بصر كبصري، ويد كيدي، وقدم كقدمي»[١].

ولم يتساهل السلف في أمر المشبهة كما يزعم بعض المتكلمين:

فقد ذكر شيخ الإسلام عن عبدالرحمن بن أبي حاتم بسنده عن علي بن عاصم قال: تكلم داود الجواربي فضلَّ في التشبيه فاجتمع فقهاء واسط منهم محمد بن يزيد وخالد الطحان، وهشيم، وغيرهم. فأتوا الأمير فأخبروه بمقالته، فأجمعوا على سفك دمه، فمات في أيامه، فلم يصلِّ عليه علماء واسط»[٢].

وذكر بسنده أيضاً أنه جاء رجل إلى يزيد بن هارون «فقال: يا أبا خالد، ما تقول في الجهمية؟ قال: يستتابون؛ لأن الجهمية غلت فتفرعت في غلوها إلى أن نفت، والمشبهة غلت فتفرعت في غلوها حتى مثَّلت، فالجهمية يستتابون، والمشبهة كذا. رماهم بأمر عظيم»[٣].

---

(١) درء التعارض (١٠/ ٣١٩).
(٢) بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٥١٢) (اليحيى).
(٣) بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٥١٤) (اليحيى).

وروى أبوبكر الخلال في السنة أن يزيد بن هارون يقول: «الجواربي والمريسي كافران»[١]. ومعلوم أن الجواربي مشبِّه، والمريسي معطِّل.

وروى عبدالرحمن بن أبي حاتم بسنده أن وكيعاً يقول: وصف داود الجواربي الرب فكفر في صفته، فرد عليه المريسي، فكفر في رده عليه، إذ قال: هو في كل شيء»[٢].

وروى عبدالرحمن بسنده عن نعيم بن حماد: **«من شبَّه الله بخلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه ورسوله تشبيه»**[٣].

وروي عن إسحاق بن راهويه: **«من وصف الله فشبَّه صفاته بصفات أحدٍ من خلقه فهو كافر بالله العظيم»**[٤].

* * *

(١) بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٥١٤) (اليحيى).
(٢) بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٥١٥) (اليحيى).
(٣) بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٥١٥) (اليحيى).
(٤) بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٥١٦) (اليحيى).

الأشاعرة

أصولهم ومناهجهم ورءوسهم
وموقف السلف منهم



الأشـاعـرة
أصولهم ومناهجهم ورءوسهم

تعريفها: الأشاعرة فرقة كلامية كبرى، تنتسب لأبي الحسن الأشعري المتوفى سنة (٣٢٤) ظهرت في القرن الرابع وما بعده (بعد القرون الثلاثة الفاضلة).

بدأت أصولها بنزعات كلامية خفيفة أخذها الأشعري عن ابن كلاب تدور على مسألة كلام الله تعالى وأفعاله الاختيارية، مع القول بالكسب الذي نشأت عنه نزعة الجبر والإرجاء، ثم تطورت (الأشاعرة) وتعمقت وتوسعت في المناهج الكلامية حتى أصبحت من القرن الثامن (عصر الأيجي) وما بعده فرقة كلامية، عقلانية، فلسفية، صوفية، مقابرية، مرجئة جبرية، كما سيأتي بيانه.

مراحل نشأتها وأطوارها:

مذهب الأشاعرة في نشأته وأصوله ومناهجه مرَّ بأطوار وبمراحل كثيرة يختلف أولها عن آخرها اختلافاً كبيراً، ولا

يربط بينها إلا قليل من الأصول والسمات العامة.

ويمكن تقسيم هذه المراحل إجمالاً على النحو التالي:

المرحلة الأولى: نشأة الأصول الكلامية الأولى التي انحرف بها المذهب عن نهج السلف، وتبدأ من القرن الثالث، وتتمثل بمقولات ابن كلاب (ت٢٤٠هـ) وأتباعه كالقلانسي[١] والمحاسبي (ت٢٤٣هـ) والأشعري. وتقوم أسس المذهب في هذه المرحلة على:

١ ـ **نفي أفعال الله تعالى الاختيارية**، وهي ما يسمونه (قيام الأفعال به) كالكلام، وكالنزول والمجيء ونحوها، حيث نفوا أن يفعل الله ذلك متى شاء كما يشاء، أي أنكروا تعلق أفعال الله تعالى بمشيئته.

٢ ـ **قولهم: إن كلام الله تعالى معنى قائم بذاته، أزلي، وأنكروا أن يتكلم الله تعالى متى شاء**[٢].

وهذا الأصل فرع عن الأول، لكن منشأ مذهب الكلابية بدأ من هذه المسألة لأنها كانت من أشد المسائل نزاعاً في

(١) غير معروف الوفاة، لكنه معاصر للأشعري.
(٢) انظر: مقالات الإسلاميين (٢/٢٥٧، ٢٥٨).

ذلك الوقت.

المرحلة الثانية: مقالات أبي الحسن الأشعري (ت٣٢٤هـ)[١]. وهي نشأة الأسس والأصول الكبرى للأشعرية الأولى، وتبدأ من أول القرن الرابع.

وتتمثل أسس مذهب الأشاعرة في هذه المرحلة من أصول أبي الحسن الأشعري نفسه وأبرزها:

١ ـ متابعة ابن كلاب في مسألة أفعال الله الاختيارية عموماً (نفيها بإنكار فعلها بالمشيئة) وفي مسألة كلام الله تعالى على الخصوص والقول بأنه معنى قائم بالنفس[٢]. ونتج عن ذلك:

٢ ـ مخالفة السلف في الصفات الفعلية حيث قال بأنها أزلية قديمة لا تتعلق بالمشيئة والإرادة. كالمحبة والكلام والرضا والغضب[٣]. وكان يقرُّ بالصفات الخبرية كاليد والوجه والعين.

---

(١) انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة للدكتور عبدالرحمن المحمود (٢/ ٤٤٥ ـ ٤٦٩) المطبوعة على الآلة الكاتبة.

(٢) انظر في ذلك كتب الأشعري: اللمع ص(٧، ٢٢، ٢٣) طبعة مكارثي، ورسالة إلى أهل الثغر ص(٦٧، ٦٨، ٧٠، ٧٣، ٧٤، ٧٥).

(٣) المرجع السابق.

٣ ـ **قوله بالكسب والاستطاعة أي اقتران فعل العبد بفعل الله من** غير أن يكون للعبد أثر، وهذا معنى الاستطاعة، وهو نوع من (الجبر) ويزعم أن القدرة للعبد تحدث له مع الفعل لا قبله ولا بعده، وهذا معنى الكسب[١].

٤ ـ **نفي التعليل في أفعال الله تعالى وأقداره**[٢].

٥ ـ **كانت خبرة الأشعري بتفاصيل أقوال السلف أقل منها بتفاصيل أقوال أهل الكلام من الجهمية والمعتزلة** والكلابية، لذلك أحياناً يحكي عن السلف ما لم يقولوه ظناً أو توهماً.

وهذه الأسس التي قال بها الأشعري لا تزال في مذهب الأشاعرة، وتقوم عليها غالب أصولهم.

المرحلة الثالثة: مرحلة الأخذ بتأويلات الجهمية في الصفات، وتبدأ هذه المرحلة من آخر القرن الرابع ممثلة بمنهج ابن الباقلاني (ت٤٠٣هـ) وابن فورك (ت٤٠٦هـ)، ثم البغدادي (ت٤٢٩هـ).

---

(١) انظر: اللمع له ص(٤١، ٤٢) ومقالات الإسلاميين (٢/ ٢١٨).
(٢) انظر: الإبانة ص(١٩٢)، واللمع ص(٦٨)، ورسالة إلى أهل الثغر ص(٧٣).

وتتمثل ملامح هذه المرحلة بالتوسع في تأويلات نصوص الصفات على نحو ما فعل ابن شجاع الثلجي وبشر المريسي بشكل صريح، أو بمنحى التأويل الخفي قبل ذلك عند أمثال: أبي الحسن الطبري (ت٣٨٠هـ) وأبي سليمان الخطابي (ت٣٨٨هـ).

وبتخريج كثير من تأويلات الصفات على المنهج الكلامي للأشعري، كما فعل ابن فورك، وإهمال المنهج السلفي الذي استقر عليه الأشعري ـ في الجملة ـ في الإبانة.

مع البقاء في كثير من الأصول على نهج الأشعري والسلف في هذه المرحلة.

كما تميزت هذه المرحلة بالنشاط في نشر مذهب الأشاعرة في الآفاق وبث الدعاة كما فعل الباقلاني الذي قرن المذهب الأشعري العقدي بالمذهب المالكي في الفقه، وكان قبل ذلك محصوراً بين الشافعية؛ لأن أبا الحسن الأشعري شافعي، كما كان ابن الثلجي والمريسي وابن أبي داود أحنافاً.

كما أن المذهب الأشعري انتشر بشكل أوسع بين

الشافعية على يد البيهقي؛ لأن البيهقي أشعري شافعي كبير وله أثر كبير في المذهبين.

المرحلة الرابعة: وكانت هذه المرحلة ذات اتجاهين:

الأول: التوسع في الأخذ بأصول الجهمية والمعتزلة والفلاسفة.

والثاني: دمج المذهب الأشعري بالتصوف البدعي، وذلك في القرن الخامس، ويمثِّل هذا الاتجاه القشيري (ت٤٦٥هـ)[1].

وكان المذهب الأشعري قبل هذه الفترة أسلم من ناحية العبادة والسلوك، بعيداً عن الصوفية البدعية، وقد أبلى الأشاعرة قبل ذلك في الرد على الصوفية الضالة بلاءً حسناً، لكن بعد القشيري اختلط الاتجاهان وتلازما.

ثم توج هذا الاتجاه الصوفي لدى الأشاعرة بمنهج الغزالي الأخير (ت٥٠٥هـ).

أما الاتجاه الأول فيتمثل بإدخال الأصول والمناهج

---

(١) انظر: منهج القشيري في فصل لاحق من هذا البحث.

والقواعد الفلسفية والعقلانية والجهمية والاعتزالية والكلامية الخالصة على أصول الأشاعرة، وكان رائدَ هذا الاتجاه أبوالمعالي الجويني[١] (ت٤٧٨هـ) قبل تخليه عن الكلام.

وقد كثر بين الأشاعرة في هذه المرحلة التوسع في تأويلات الصفات على منهج الجهمية والمعتزلة كالاستواء والعلو واليد والوجه والعين، فلم يقفوا عند تأويل الصفات الفعلية الذي استمدوه من منهج ابن كلاب، بل تجاوزت تأويلاتهم إلى الصفات الذاتية التي كان أسلافهم يثبتونها ويبدِّعون من يؤولها.

وصار من مناهجهم: وضع القواعد العقلانية والكلامية، للتأويل والتعطيل في الصفات وبعض السمعيات.

كما ظهر عندهم في هذه المرحلة: وضع منهج السلف في قفص (الاتهام) والتصريح بلمز السلف والسخرية من منهجهم.

وكما أسلفت أول من وضع أُسس هذا المنهج أبوالمعالي

(١) انظر: منهج أبي المعالي في فصل لاحق من هذا البحث.

الجويني (ت٤٧٨هـ)، ثم أكمله الغزالي (ت٥٠٥هـ) وابن العربي (ت٥٤٣هـ) والشهرستاني (ت٥٤٨هـ).

المرحلة الخامسة: مرحلة اكتمال الأسس الفلسفية والعقلانية والكلامية والصوفية وترسيخها وتنظيمها، وعزل مذهب الأشاعرة عن منهج السلف بصورة جلية. وتبدأ هذه المرحلة من نهاية القرن السادس وبداية القرن السابع وما بعده إلى القرن الثامن.

ويمثل هذه المرحلة فخر الدين الرازي (ابن الخطيب) (ت٦٠٦هـ) ثم الآمدي (ت٦٣١هـ) والأيجي (ت٧٥٦هـ) وتتميز هذه المرحلة بما يلي:

١ ـ التوسع في وضع القواعد والأسس الكلامية العقلانية لتأويل النصوص الشرعية المتعلقة بالصفات وبعض السمعيات، وترسيخ أصول الجهمية والمعتزلة والفلاسفة التي بدأت في المرحلة السابقة.

٢ ـ التصريح الجريء بتقديم العقليات والقواعد الفلسفية والكلامية على النصوص وتحكيمها فيها، وإخضاع الآيات والأحاديث لأوهام العقول وأصول الفلاسفة والجهمية

وتأكيد مقولة: أن الأدلة الشرعية لا تفيد اليقين والعقلية قطعية!! وتقديم الأوهام العقلية على النصوص الشرعية وتحكيمها فيها.

٣ ـ **ردُّ بعض النصوص وتكذيبها وبخاصة أحاديث الصفات.**

٤ ـ **التوسع والتصريح في الطعن في رواة أحاديث الصفات من الصحابة وغيرهم**، وردّ روايتهم في الصفات.

٥ ـ **عزل الأشاعرة عن السلف بوضوح وقوة**، وتمييز مناهج الأشاعرة وعزلها عن منهج السلف والانتصار لها.

٦ ـ **تخطئة السلف وتضليل منهجهم، وتسفيهه، ولمزهم بالألقاب الشنيعة والتوسع في ذلك**، والتصريح به بصورة لم يجرؤ عليها أسلافهم.

٧ ـ **إدخال منهج الشك وإثارة الشبهات حول أصول العقيدة**، كما فعل الرازي في كثير من كتبه.

٨ ـ **تمتد هذه المرحلة والتي هي مرحلة استقرار المذهب الأشعري وترسيته على الأسس السابقة إلى القرن السابع والثامن وما بعدها** حيث استقر مذهب الأشاعرة على التِّيْه والخلط والاضطراب على الأُسس التالية:

أ ـ **علم الكلام المتمثل بالأوهام العقلية والآراء الشخصية**

والفلسفات في جانب الصفات وبعض السمعيات ومصادر التلقي ومناهج الاستدلال.

ب ـ **التصوف في جانب العبادات والسلوك**، ومصادر التلقي.

جـ ـ **الجبر والإرجاء (وهما متلازمان)** أما الجبر فيتمثل بالقـول بالكسـب، وأمـا الإرجـاء هنـا فهـو إرجـاء الفقهاء كما بينت في حلقة القدرية والمرجئة وكذلك هنا في مبحث الأصول التي خالفت فيها الأشاعرة أهل السنة، أما الأصول الأخرى فالأشاعرة فيها على نهج السنة في الجملة.

ونظراً لأن أصول الأشاعرة ومناهجهم مرَّت بأطوار كثيرة، وتمثلها مدارس متعاقبة على رأس كل مدرسة علم من أعلامهم؛ فإنه يحسن عرض مناهج هؤلاء الأعلام في فصل لاحق إن شاء الله.

* * *

السمات العامة لمنهج الأشعري والأشاعرة

١ ـ المؤسس الأول لمذهب الأشاعرة ابن كُلاَّب:

ترجع أصول الأشاعرة الكلامية إلى أصول ابن كُلاَّب، لذا يمكن أن يعد ابن كلاب المؤسس الأول لمذهب الأشاعرة، وهذا ما يذهب إليه كثيرون من أوائلهم مثل ابن فورك، يقول ابن فورك في مقدمة كتابه (مقالات الشيخ الإمام أبي محمد عبدالله بن سعيد) (يعني ابن كلاب): «ولما كان الشيخ الأول والإمام السابق أبومحمد عبدالله بن سعيد رضي الله عنه الممهد لهذه القواعد المؤسس لهذه الأصول والمقاصد...»[١] وذلك بعد إشارته إلى مقالات الأشعري.

وعلى هذا فإن الأشعري يعد المؤسس الثاني لأصول الأشاعرة، وإليه يُنسب المذهب.

٢ ـ الأشعري أقرب من أتباعه إلى مذهب السلف:

والأشعري أعرف من أصحابه بمذاهب المتكلمين لكن

---

(١) انظر: بيان تلبيس الجهمية (١/١٨)، (الهنيدي).

خبرته بأقوال السلف قليلة، ومع ذلك فهو أقرب من أتباعه إلى مذهب السلف في الجملة، كما أنه يعظِّم السلف وأقوالهم أكثر مما كان من أتباعه الذين تجرءوا على لمز السلف.

وقد ذكر شيخ الإسلام أن معرفة الأشعري بمذاهب المتكلمين مفصلة، ومعرفته بمذهب السلف مجملة قال:

«فهكذا معرفته بمذهب أهل السنة والحديث مع أنه من أعرف المتكلمين المصنفين في الاختلاف، وهو أعرف به من جميع أصحابه من القاضي أبي بكر وابن فورك وأبي إسحاق وهؤلاء أعلم به من أبي المعالي وذويه ومن الشهرستاني، ولهذا كان ما يذكره الشهرستاني من مذهب أهل السنة والحديث ناقصاً عما يذكره الأشعري، فإن الأشعري أعلم من هؤلاء كلهم بذلك نقلاً وتوجيهاً»[١].

٣ـ معرفة الأشعري والأشاعرة بمقالات المتكلمين أكثر من خبرتهم بمذهب السلف:

فالأشعري عندما يحكي مقالات أهل الكلام يذكرها

---

(١) منهاج السنة (٥/ ٢٧٩).

بتفصيلات الخبير بها، وعندما يحكي قول السلف يحكيه مجملاً وناقصاً، وأحياناً يحكيه خطأً، مثل دعواه إجماع السلف على تفسير الرضا والغضب بإرادة الثواب والعقاب، وهذا خلاف منهج السلف، فضلاً عن أن يجمعوا عليه![١].

قال شيخ الإسلام: «وهذا مما مدح به الأشعري، فإنه بيَّن من فضائح المعتزلة وتناقض أقوالهم وفسادها ما لم يبينه غيره؛ لأنه كان منهم وكان قد درس الكلام على أبي علي الجبائي أربعين سنة، وكان ذكياً، ثم إنه رجع عنهم وصنف في الرد عليهم، ونصر في الصفات طريقة ابن كلاب؛ لأنها أقرب إلى الحق والسنة من قولهم، ولم يعرف غيرها فإنه لم يكن خبيراً بالسنة والحديث وأقوال الصحابة والتابعين وغيرهم، وتفسير السلف للقرآن والعلم بالسنة المحضة إنما يستفاد من هذا، ولهذا يذكر في المقالات مقالة المعتزلة مفصلة: يذكر قول كل واحد منهم وما بينهم من النزاع في الدق والجل»[٢].

وقال: «ويذكر مقالات الخوارج والروافض لكن نقله لها

---

(١) انظر: رسالة الثغر (٧١)، (للأشعري).
(٢) منهاج السنة (٥/ ٢٧٦، ٢٧٧).

من كتب أرباب المقالات لا عن مباشرة منه للقائلين ولا عن خبرة بكتبهم ولكن فيها تفصيل عظيم، ويذكر مقالة ابن كلاب عن خبرة بها ونظر في كتبه، ويذكر اختلاف الناس في القراءة من عدة كتب، **فإذا جاء إلى مقالة أهل السنة والحديث ذكر أمراً مجملاً يلقي أكثره عن زكريا بن يحيى الساجي وبعضه عمن أخذ عنه من حنبلية بغداد، وأين العلم المفصل من العلم المجمل؟!»**[١].

والأشعري في كتابه مقالات الإسلاميين وغيره نجده يذكر أقوال أهل الكلام مفصَّلة وعن خبرة بدقائقها، وحينما يذكر أقوال السلف يذكرها مجملة، وأحياناً ينسب إليهم ما لم يقولوه، مثل قوله: إنهم يقولون عن الله: «أنه ليس بجسم» ونسب إليهم القول بالكسب والاستطاعة[٢].

مع أن السلف قبله لم يتكلموا في الجسم لا بنفي ولا إثبات، بل بدَّعوا من أثبته ومن نفاه. وكذلك لم يقل أحد من السلف بكسب الأشعري بل هو من مفرداته وغرائبه، وكذلك

(١) منهاج السنة (٥/ ٢٧٧، ٢٧٨).
(٢) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٣٤٦).

الاستطاعة فرع منها.

وهذه السمة - أعني الجهل بمذاهب السلف والعلم بمذاهب المخالفين - هي الغالبة على سائر متكلمة الأشاعرة كالجويني والغزالي والرازي والشهرستاني والبغدادي.

٤ - من أصول الأشعري الخلط بين مذهب ابن كلاب ومذهب السلف:

خرج الأشعري من الاعتزال وسلك طريق السنة وأهل الحديث وانتسب إلى إمام السنة أحمد بن حنبل؛ لكنه في بعض مسائل الاعتقاد مال إلى طريقة ابن كلاب الكلامية التي خالف فيها السلف.

قال شيخ الإسلام: «وأبوالحسن الأشعري لما رجع عن مذهب المعتزلة سلك طريق ابن كلاب، ومال إلى أهل السنة والحديث، وانتسب إلى الإمام أحمد، كما قد ذكر ذلك في كتبه كلها، كالإبانة والموجز والمقالات وغيرها، وكان مختلطاً بأهل السنة والحديث كاختلاط المتكلم بهم، بمنزلة ابن عقيل عند متأخريهم، **لكن الأشعري وأئمة أصحابه أَتْبَعُ لأصول الإمام أحمد وأمثاله من أئمة السنة من مثل ابن عقيل في كثير من**

أحواله، وممن اتبع ابن عقيل كأبي الفرج بن الجوزي في كثير من كتبه. وكان القدماء من أصحاب أحمد كأبي بكر عبدالعزيز وأبي الحسن التميمي وأمثالهما يذكرونه في كتبهم على طريق ذكر الموافق للسنة في الجملة»[١].

قلت: وهذه النزعة الكلامية التي بقيت عند الأشعري هي التي جعلت أئمة الكلام ينتسبون إليه، وينفذون من خلال منهجه إلى سائر عقائد المسلمين.

وما تشهد له نصوص الأشعري ومؤلفاته أن الأشعري قرب كثيراً من أهل السنة، لكن بقيت عنده آثار من مقولات ابن كلاب، خاصة في الصفات الاختيارية، وهذا ما قرره شيخ الإسلام، ورجَّحه الدكتور عبدالرحمن المحمود في رسالته (موقف ابن تيمية من الأشاعرة)[٢] وقد أجاد في بحث هذا الموضوع فليراجع.

وحيث إن ابن كلاب أخذ نزعته الكلامية عن أصول الجهمية المعتزلة الذين كان يناظرهم، فإن الأشعري كذلك تأثر

---

(١) درء التعارض (٢/ ١٦).
(٢) انظر (٢/ ٤٤٢).

بالجميع، فجاءت بعض أصول الأشعري والأشاعرة خليطاً من أقوال أهل السنة والجهمية والمعتزلة والكلابية (الذين يجمعهم وصف أهل الكلام).

قال شيخ الإسلام: «وأما الأشعري فلا ريب عنه أنه كان تلميذاً لأبي عليّ الجبائي، لكنه فارقه ورجع عن جُمَل مذهبه، وإن كان قد بقي عليه شيء من أصول مذهبه، لكنه خالفه في نفي الصفات، وسلك فيها طريقة ابن كُلّاب، وخالفهم في القدر ومسائل الإيمان والأسماء والأحكام، وناقضهم في ذلك أكثر من مناقضة حسين النجار وضرار بن عمرو ونحوهما، ممن هو متوسط في هذا الباب، كجمهور الفقهاء وجمهور أهل الحديث، حتى مال في ذلك إلى قول جهم. وخالفهم في الوعيد، وقال بمذهب الجماعة، وانتسب إلى مذهب أهل الحديث والسنة، كأحمد بن حنبل وأمثاله، وبهذا اشتهر عند الناس.

فالقَدْر الذي يُحمد من مذهبه، هو ما وافق فيه أهل السنة والحديث كالجمل الجامعة. وأما القَدْر الذي يُذمّ من مذهبه فهو ما وافق فيه بعض المخالفين للسنة والحديث، من المعتزلة

والمرجئة والجهمية والقدرية ونحو ذلك.

وأخذ مذهب أهل الحديث عن زكريا بن يحيى الساجي بالبصرة، وعن طائفة ببغداد من أصحاب أحمد وغيرهم. وذكر في المقالات ما اعتقد أنه مذهب أهل السنة والحديث، وقال: «بكل ما ذكرنا من قولهم نقول، وإليه نذهب»[١].

٥ ـ اضطراب منهج الأشعري في الصفات الاختيارية (الفعلية):

الأشعري بعد ترك الاعتزال سلَّم بمذهب السلف في الصفات، لكنه في الصفات الاختيارية الفعلية نجده حيناً يقول بقول السلف، وحيناً يفسرها بتفسير على منهج ابن كلاب الكلامي مثل قوله في الاستواء أنه «فعل في العرش فعلاً أسماه استواء»[٢].

وكذلك فسَّر صفات المجيء والإتيان بأنه «فعل يسميه الله إتياناً ومجيئاً»[٣].

وكذا النزول: «فعل يحدثه الله تعالى في السماء الدنيا».

---

(١) منهاج السنة (٨/٨، ٩).
(٢) الأسماء والصفات للبيهقي (٢/١٥٢).
(٣) الأسماء والصفات للبيهقي (٢/١٩٤).

وقال في صفتي الرضا والغضب: «وأن رضاه عنهم إرادته لنعيمهم» «وأن غضبه إرادته لعذابهم»[(١)].

وكذا سائر الصفات الفعلية كما ذكر عنه البيهقي في الأسماء والصفات. وهذا تأويل لُبِّس ثوب الإثبات.

مقارنة بين منهجي ابن كلاب والأشعري:

قال شيخ الإسلام: «ويوجد في كلام أبي الحسن من النفي الذي أخذه من المعتزلة ما لا يوجد في كلام أبي محمد بن كلاب، الذي أخذ أبوالحسن طريقه. ويوجد في (كلام) ابن كلاب من النفي الذي قارب فيه المعتزلة ما لا يوجد في كلام أهل الحديث والسنة والسلف والأئمة، وإذا كان الغلط شبراً صار في الأتباع ذراعاً ثم باعاً حتى آل هذا المآل، فالسعيد من لزم السنة»[(٢)].

٦ـ ظهور آثار الاعتزال والتجهم في مذهب الأشاعرة وأهل الكلام:

المتأمل لمقالات الأشاعرة يجد (بوضوح) آثار الاعتزال

---

(١) رسالة إلى أهل الثغر (٧١).
(٢) بغية المرتاد (٤٥١).

والتجهم على مناهجهم في التلقي والاستدلالات وتقرير التوحيد والصفات وغيرها.

قال شيخ الإسلام في أبي الحسن الأشعري ومن سلك سبيله: «ولهذا كان هو وأمثاله يعدُّون من متكلمة أهل الحديث، وكانوا هم خير هذه الطوائف، وأقربها إلى الكتاب والسنة، ولكن خبرته بالحديث والسنة كانت مجملة، وخبرته بالكلام كانت مفصَّلة، فلهذا بقي عليه بقايا من أصول المعتزلة، ودخل معه في تلك البقايا وغيرها طوائف من المنتسبين إلى السنة والحديث، من أتباع الأئمة من أصحاب مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد.

وعامة هؤلاء يقولون الأقوال المتناقضة، ويقولون القول ولا يلتزمون لوازمه، ومن أسباب ذلك أنهم يقولون القول المأثور عن الصحابة والسلف، الموافق للكتاب والسنة، ولصريح المعقول، ويسلكون في الرد على بعض الأفكار، أو بعض أهل البدع، مسلكاً سلكته المعتزلة ونحوهم، وذلك المسلك لا يوافق أصول أهل السنة، فيحتاجون إلى التزام لوازم ذلك المسلك المعتزلي، وإلى القول بموجب نصوص الكتاب

والسنة، والمعقول الموافق لذلك؛ فيحصل التعارض والتناقض»[١] ومن ذلك:

موافقة الأشعري والأشاعرة للجهمية ومخالفته للسنة في المحبة:

قال شيخ الإسلام: «وجهم ومن وافقه من المعتزلة اشتركوا في أن مشيئة الله ومحبته ورضاه بمعنى واحد، ثم قالت المعتزلة: هو لا يحب الكفر والفسوق والعصيان، فلا يشاؤه، فقالوا: إنه يكون بلا مشيئة. وقال الجهمية: بل هو يشاء ذلك فهو يحبه ويرضاه. وأبوالحسن وأكثر أصحابه وافقوا هؤلاء، فذكر أبوالمعالي الجويني أن أبا الحسن أول من خالف السلف في هذه المسألة بين المشيئة والمحبة والرضا. وأما سلف الأمة وأئمتها الكبار أهل الفقه والحديث والتصوف وكثير من طوائف النظار كالكلابية والكرامية وغيرهم فيفرِّقون بين هذا وهذا»[٢].

«والأشعري يثبت الصفات كالإرادة فاحتاج إلى الكلام فيها هل هي المحبة أم لا؟ فقال: المعاصي يحبها الله ويرضاها

---

(١) درء التعارض (٧/ ٤٦٢، ٤٦٣).
(٢) الفتاوى (٨/ ٤٧٥).

كما يريدها، وذكر أبوالمعالي أنه أول من قال ذلك، وأهل السنة قبله على أن الله لا يحب المعاصي»[١].

٧ـ كبار متكلمي الأشاعرة كأبي المعالي قد يجهلون مذاهب السلف ويلمزونهم بالحشوية:

ولذلك يحكون عن السلف ما لم يكن من قولهم، وقد يلزمونهم بلوازم باطلة:

«فإذا رأيت من صنَّف في الكلام ـ كصاحب «الإرشاد» و«المعتمد» ومن اتبعهما ممن لم يذكروا في ذلك إلا أربعة أقوال وما يتعلق بها ـ عُلِمَ أنه لم يبلغهم القول الخامس ولا السادس فضلاً عن السابع، فالذين يسلكون طريقة ابن كُلّاب كصاحب «الإرشاد» ونحوه يذكرون قول المعتزلة وقول الكرامية ويبطلونهما ثم لا يذكرون مع ذلك إلا ما يقولون فيه[٢]: «وذهبت الحشوية المنتمون إلى الظاهر إلى أن كلام الله تعالى قديم أزلي، ثم زعموا أنه حروف وأصوات وقطعوا بأن

---

(١) الفتاوى (٨/ ٢٣٠).
(٢) هذا من كلام أبي المعالي في الإرشاد (١٢٨، ١٢٩)، درء التعارض (٢/ ٣١٠، ٣١١).

المسموع صوت الله - تعالى الله عن قولهم - وهذا قياس جهالتهم، ثم قالوا: إذا كتب كلام الله بجسم من الأجسام رقوماً ورسوماً وأسطراً وكلماً فهي بأعيانهم كلام الله القديم، فقد كان إذا كان جسماً حادثاً ثم انقلب قديماً، ثم قضوا بأن الحرف من الأسطر هو الكلام القديم الذي هو حرف وأصوات، وأصلهم أن الأصوات على تقطيعها وتواليها كانت ثابتة في الأزل قائمة بذات الباري تعالى، وقواعد مذهبهم مبنية على دفع الضرورات».

فلم يذكر أبوالمعالي إلا هذا القول مع قول المعتزلة والكلابية والكرامية. ومعلوم أن هذا القول لا يقوله عاقل يتصور ما يقول، ولا نعرف هذا القول من معروف بالعلم من المسلمين، ولا رأينا هذا في شيء من كتب المسلمين ولا سمعناه من أحد منهم، فما سمعنا من أحد، ولا رأينا في كتاب أحد أن المداد الحادث انقلب قديماً، ولا أن المداد الذي يكتب به القرآن قديم، بل رأينا عامة المصنفين من أصحاب أحمد وغيرهم ينكرون هذا القول، وينسبون ناقله عن بعضهم إلى الكذب.

وأبوالمعالي وأمثاله أجلُّ من أن يتعمد الكذب لكن القول المحكي قد يُسمع من قائل لم يضبطه»[١].

أهم الأصول التي خالفت فيها الأشاعرة منهج السلف (أهل السنة)[٢]؟

أولاً: في مصادر التلقي ومنهج الاستدلال في العقيدة[٣]:

مصادر العقيدة عند أهل السنة هي الكتاب والسنة وإجماع السلف؛ لأن العقيدة توقيفية لا تبنى على الظنون والأوهام، وكما يقول الأشاعرة بمصادر التلقي عند أهل السنة (القرآن والسنة والإجماع) يضيفون مصادر أخرى ابتدعوها أو تابعوا فيها الفرق الأخرى كالجهمية والمعتزلة والفلاسفة والصوفية، منها:

---

(١) درء التعارض (٢/ ٢١٠، ٢١١).

(٢) للاستزادة: تراجع مقالة (منهج الأشاعرة في العقيدة) للدكتور سفر بن عبدالرحمن الحوالي، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة للدكتور عبدالرحمن المحمود.

(٣) ما أذكره من القواعد والأصول العامة هنا تجد أمثلته فيما يلحق وما سبق في تفصيلات المناهج والأصول.

أ ـ **الظنون العقلية (ويسمونها القواطع العقلية)** التي بناها لهم كبارهم، كالجويني، والغزالي، والرازي، والآمدي والبغدادي، والسنوسي.

ومن عجائب الزمان أن الأشعري نفسه الذي ابتلي بانتسابهم إليه لا يرى هذا المنهج وإن وجد في بعض أصوله، لكنه لم يصرح باعتماده بل العكس كان يفضل طريقة السلف.

والأعجب أن هؤلاء الذين وضعوا الأسس العقلية للأشاعرة رجعوا عنها وأعلنوا توبتهم من سلوكها، وأذعنوا لمنهج السلف، كالجويني، والرازي، والغزالي، والآمدي الذي أعلن إفلاسه وحيرته.

ب ـ **كثير من الأشاعرة المتأخرين ـ وليس كلهم ـ يعتمدون وهميات الصوفية مصادر للدين**، خاصة بعد القشيري والغزالي، حيث دخلت عليهم خرافة الاستمداد من الأشخاص وما يسمونه الأولياء وشيوخ الطرق أو من الغوث والأقطاب ورجال الغيب! وآمنوا بالاستمداد من (الكشف والذوق وأخذ العلم بلا تلقي ولا معلِّم).

جـ ـ **دخلت أصول الفلاسفة على مناهج الأشاعرة المتأخرين واتخذوها مصدراً لتلقي الدين وأصول العقيدة.** والمتأمل لمقدمات كتبهم يجدها مليئة بالمقدمات والمصطلحات والقواعد الفلسفية.

د ـ **جعلوا المنطق مصدراً من مصادر الدين في العقيدة وأصول الفقه،** حتى إن بعضهم أوجب الأخذ به.

ولذلك اختلّ منهج الاستدلال في العقيدة عندهم:

فهم يستدلون في عقائدهم بالفلسفة والعقليات والمنطق، وإيراد الإشكالات والاعتراضات، وتضارب ما يسمونه البراهين العقلية.

وإذا أوردوا النصوص الشرعية فلتعضد أصولهم، أو لردِّها وتأويلها، أو لإيراد الإشكالات عليها، راجع على سبيل المثال: أساس التقديس للرازي، أو الشامل أو الإرشاد للجويني، أو غاية المرام للآمدي، أو نهاية الإقدام للشهرستاني، أو المواقف للأيجي، أو شرح الكبرى للسنوسي، أو ما شئت من كتب أصول الدين عندهم منذ عهد الجويني إلى

يومنا هذا! تجد أنك في غربة عن منهج السلف، بل كأنك تعيش مع فلاسفة الإغريق أو اليونان، أو الهنود، أو الفرس.

كما أن منهج الأشاعرة في الاستدلال في العقائد يقوم على ما منعه السلف وأنكروه، كالتأويل، والمجاز، والقول بالرأي، والقياس، وعدم حجية خبر الآحاد وإن صح سنده.

وهذا المنهج إنما هو امتداد للمنهج الكلامي والفلسفي الذي وضعه الجهمية والمعتزلة قبلهم، ويناقض منهج السلف الصالح. ولذلك لما تعمق الأشاعرة في هذا المسلك استوحشوا من طريقة السلف وذموها، وكثر لمزهم لأئمة السنة وسبهم لهم وكثرت وقائع المنازعات والخصومات بينهم وبين السلف.

منهج الأشاعرة تجاه نصوص العقيدة يتميز بما يلي:

١ ـ **ضعفهم في الحديث في الجملة** رغم أن فيهم محدثين كبار كالبيهقي، لكن كبار متكلميهم ليسوا كذلك.

٢ ـ **قلة استدلالهم بالنصوص (القرآن والسنة) في العقائد مع أن العقيدة تقوم على النصوص**، ومع ذلك إذا استعرضت كتبهم في العقائد تجد استدلالهم بالنصوص قليلاً جداً،

ويكتبون المقدمات الطويلة ويندر فيها النص الشرعي، وأكثر إيرادهم للنصوص يكون لتأويلها أو ردها كأخبار الآحاد وإن صحت.

٣ - يكثر فيهم عدم التمييز بين الصحيح والضعيف في الاستدلال.

٤ - كثيراً ما يوردون النصوص للرد والتأويل وإثارة الإشكالات العقلية والفلسفية.

٥ - كثيراً ما يوردون النصوص للاعتضاد لمسألة قرَّروها سلفاً بقواعدهم الكلامية، أي أنهم يخضعون النصوص لأصولهم ولا يخضعون الأصول للنصوص غالباً.

ثانياً: طريقتهم في تقرير التوحيد تخالف منهج السلف فهم:

أ - **يبدءون تقرير التوحيد بما يسمونه (إثبات وجود الصانع) أي إثبات وجود الله تعالى**، وكأنهم توهموا أن الناس من حولهم (وهم بين ظهراني المسلمين) منكرون لوجود الله ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠].

ويقررون ذلك بطريق الفلاسفة في الكلام في الحدوث والقدم، والجواهر والأعراض والأجسام.

ب ـ ثم ينتقلون إلى تقرير توحيد الربوبية وهو غاية التوحيد عندهم، ولذلك نسوا وغفلوا عن التوحيد الذي بعث الله به الرسل، وهو توحيد الله بالعبادة والطاعة ونبذ الشرك والبدع.

جـ ـ زعموا أن أول واجب على العبد: النظر، أو القصد إلى النظر، ويقصدون به النظر في وجود الله تعالى ووحدانيته وما يلحق بذلك.

ولذلك تنكروا للمعرفة الفطرية، وجهل أكثرهم أن أول واجب على العباد: (شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله).

وهذا كله من التكلف واتباع مناهج الفلاسفة وأهل الكلام من الجهمية والمعتزلة ومن سلك سبيلهم.

د ـ سلكوا في الصفات مسلك الجهمية والمعتزلة في تأويل الصفات، فهم أخذوا أصولهم في التأويل وإن خالفوهم في الجزئيات وفي التطبيق، بل إن المتأخرين من الأشاعرة أخذوا تأويلات متأخري الجهمية كالمريسي، فلم يثبتوا من الصفات إلا سبع أو أكثر بقليل، والباقي

يؤولونه بخلاف منهج السلف الذين حرَّموا التأويل؛ لأنه قول على الله بغير علم، وتجاوز للنصوص بغير دليل شرعي، وهذا ينافي التسليم.

ولم يكتف متأخرو الأشاعرة بالتأويل ومجاوزة عقيدة السلف لكنهم بدَّعوا السلف ولمزوهم بالأوصاف الشنيعة، وجاروا أسلافهم الجهمية والمعتزلة بتسمية السلف حشوية ومشبِّهة ورعاع، وغثاء، وأهل رواية لا دراية، وسذّج، وظاهرية، إلخ.

وندرك الفرق الكبير بين أهل السنة وبين الأشاعرة في الصفات بثلاث مسائل، كلها مما اشتد نكير السلف على الجهمية في قولهم بتأويلها وأولتها الأشاعرة، وهي:

١ ـ مسألة الاستواء.

٢ ـ مسألة العلو.

٣ ـ مسألة كلام الله.

وهذه المسائل الثلاثة عليها مدار مناهج الناس في الصفات غالباً؛ فمن أثبتها فهو على السنة، ومن أنكرها أو أوَّلها فهو مبتدع. وهذا اتفاق بين السلف، فتأمل رحمك الله.

فقد خالف فيها الأشاعرة أسلافهم كالأشعري، وابن كلاب، والبيهقي والخطابي وأمثالهم.

ثالثاً: مفهوم التوحيد لدى الأشاعرة يخالف مفهومه عند السلف:

فالتوحيد الذي جاءت به الرسل هو أن يعبد الله تعالى وحده لا شريك له، وهو الذي جاء به نبينا محمد ﷺ وهو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ولوازم ذلك، أما الأشاعرة فهم يقفون عند تقرير توحيد الربوبية، أما توحيد العبادة فلا يعرِّجون عليه إلا نادراً وبإشارات عابرة. فقالوا:

«والتوحيد له هو: الإقرار بأنه ثابت موجود، وإله واحد فردٌ معبود، ليس كمثله شيء، على ما قرر به قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]. وقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] وأنه الأول قبل جميع المحدثات، الباقي بعد المخلوقات على ما أخبر به تعالى من قوله: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣]، والعالم الذي لا يخفى عليه شيء، والقادر على اختراع كل مصنوع، وإبداع كل جنس مفعول على ما أخبر به في قوله تعالى: ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٠٢]،

﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرُۢ﴾[1] [المائدة: ١٢٠].

مع العلم أن هذا التوحيد الذي قرره الباقلاني وغالب المتكلمين من الأشاعرة وغيرهم، لا ينازع فيه أحد حتى المشركون، قال الله عنهم: ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ ﴾ [لقمان: ٢٥] إنما النزاع كان في توحيد الإلهية وهو مقتضى الشهادتين، وهو الذي دعا إليه الرسول ﷺ، والأشاعرة لا يذكرونه إلا قليل منهم وقد يذكرونه عرضاً كما فعل الباقلاني هنا، ودون اهتمام.

رابعاً: الأشاعرة يزعمون أن أول ما فرض الله على العباد: النظر أو القصد إلى النظر:

وهذا خلاف ما جاء في الكتاب والسنة وقرّره السلف بأن أول واجب على العباد الإقرار بالشهادتين، قال الباقلاني:

«وأن يعلم أن أول ما فرض الله ـ عز وجل ـ على جميع العباد النظر في آياته والاعتبار بمقدوراته والاستدلال عليه بآثار قدرته وشواهد ربوبيته؛ لأنه سبحانه غير معلوم باضطرار ولا

(١) الإنصاف للباقلاني (٣٣، ٣٤).

مشاهد بالحواس، وإنما يُعلم وجوده وكونه على ما تقتضيه أفعاله بالأدلة القاهرة والبراهين الباهرة، والثاني من فرائض الله ـ عز وجل ـ على جميع العباد الإيمان به والإقرار بكتبه ورسله وما جاء من عنده، والتصديق بجميع ذلك بالقلب والإقرار به باللسان»[١].

وقال **شيخ الإسلام**: «فلمَّا صار من أخذ ما أخذه من الكلام المحدث عنهم، كالأشعري ومن سلك سبيله من أصحاب أحمد ومالك والشافعي، يسلكون مسلكهم في مسألة إيجاب النظر، وأن الإيمان لا يحصل إلا به، قال أبوجعفر السمناني، أحد أئمة الأشعرية: «هذه المسألة بقية بقيت في المذهب من الاعتزال لمن اعتقدها، وذلك لكون الأشعري كان معتزلياً تلميذاً لأبي علي الجبائي، ثم رجع عن ذلك إلى مذهب ابن كُلاب وأمثاله من الصفاتية المثبتين للقدر، والقائلين بأن أهل الكبائر لا يخلَّدون، ونحو ذلك من الأصول التي فارق بها المعتزلة للجماعة»[٢].

---

(١) الإنصاف للباقلاني (٣٣).
(٢) درء التعارض (٧/ ٤٦١).

خامساً: خالفت الأشاعرة منهج السلف في طريقتهم في إثبات الصفات الخبرية والفعلية (التأويل):

قال الباقلاني: «فإن قيل: قد أثبتم أنه حي عالم قادر سميع بصير متكلم، أفتقولون إنه يغضب ويرضى، ويحب ويبغض، ويوالي ويعادي، وأنه موصوف بذلك؟ قيل لهم: أجل ومعنى وصفه بذلك أن غضبه على من غضب عليه، ورضاه عمن رضي عنه، وحبه لمن أحب، وبغضه لمن أبغض، وموالاته لمن والى، ومعاداته لمن عادى: أن المراد بجميع ذلك إرادته إثابة من رضي عنه وأحبه وتولاه، وعقوبة من غضب عليه وأبغضه وعاداه، لا غير»[1] فنجده هنا أثبت الصفات إثباتاً مجملاً، ثم حاد إلى التأويل وتفسير هذه الصفات الفعلية بالإرادة!

وقال شيخ الإسلام في مناقشته لنفاة الصفات الخبرية من الأشاعرة:

«وقالت معتزلة الصفاتية الذين ينفون الصفات الخبرية

---

(١) الإنصاف للباقلاني (٦١)، وستأتي نماذج من تأويلاتهم.

كصاحب «الإرشاد» وأتباعه لأئمتهم ـ كأبي الحسن الأشعري وأبي عبدالله بن مجاهد والقاضي أبي بكر وأبي إسحاق الإسفراييني وأبي بكر بن فُورَك وأبي القاسم القُشَيْري وغيرهم: واليد لا تعقل إلا أبعاض الجسم، فإذا أثبتموها وقلتم: ليست أبعاض جسم، كان هذا غير معقول.

فقال المثبتون: كما أنّا لا نعقل حياة وعلماً وقدرة وكلاماً وسمعاً وبصراً إلا عَرَضاً قائماً بجسم، ثم أثبتنا هذه الصفات، وقلنا جميعاً نحن وأنتم: إنها ليست أعراضاً، فكذلك نثبت هذه الصفات، ونقول: ليست أبعاضاً، فليس نفي الأعراض عن هذه بأولى من نفي الأبعاض عن هذه»[1].

الأشاعرة الأولون مع مخالفتهم للأشعري فهم أميل للإثبات في الصفات:

فإن الذين خالفوا الأشعري من تلامذته الكبار كالطبري والباقلاني وابن فورك كانت تأويلاتهم قليلة وحذرة، فلم يستعملوا الحجج العقلية، ولم يتعمقوا في التأويلات على نهج

---

(١) الصفدية (٢/ ٣٤، ٣٥).

الجهمية والمعتزلة كما فعل من جاء بعدهم.

اضطراب منهج الأشاعرة في إثبات الصفات:

لمَّا حاد الأشاعرة عن نهج السلف في إثبات الصفات اضطربت أقوالهم وتعددت طرائقهم تجاه الصفات.

يقول شيخ الإسلام: «أهل الإثبات للصفات لهم فيما زاد على الثمانية ثلاثة أقوال معروفة:

أحدها: إثبات صفات أخرى كالرضا والغضب والوجه واليدين والاستواء، وهذا قول ابن كلاب والحارث المحاسبي وأبي العباس القلانسي والأشعري وقدماء أصحابه كأبي عبدالله بن مجاهد وأبي الحسن بن مهدي الطبري والقاضي أبي بكر بن الطيب وأمثالهم، وهو قول أبي بكر بن فورك، وقد حكى إجماع أصحابه على إثبات الصفات كالوجه واليد[١]، وهذا قول أبي القاسم القشيري وأبي بكر البيهقي، كما هو قول القاضي أبي يعلى وابن عقيل والشريف أبي علي وابن الزاغوري وأبي الحسن التميمي وأهل بيته كابنه أبي الفضل ورزق الله وغيرهم، كما هو قول سائر المنتسبين من أهل السنة

(١) انظر ما ذكره ابن فورك في كتابه مشكل الحديث.

والحديث، وليس للأشعري نفسه في إثبات صفة الوجه واليدين والاستواء وتأويل نصوصها قولان، بل لم يختلف قوله، إنه يثبتهما ولا يقف فيهما، بل يبطل تأويلات من ينفيهما، ولكن أبو المعالي وأتباعه ينفونها، ثم لهم في التأويل والتفويض قولان: فأول قولي أبي المعالي التأويل كما ذكره في الإرشاد، وآخرهما التفويض كما ذكره في الرسالة النظامية وذكر إجماع السلف على المنع من التأويل وأنه محرم»[١].

ويقول: «أما أبوالحسن الأشعري وقدماء أصحابه فهم من المثبتين لها، وقد عدَّ القاضي أبوبكر في «التمهيد» و«الإبانة» له الصفات القديمة خمس عشرة صفة، ويسمون هذه الصفات الزائدة على الثمانية الصفات الخبرية، وكذلك غيرهم من أهل العلم والسنة مثل محمد بن جرير الطبري وأمثاله، وهو قول أئمة أهل السنة والحديث من السلف وأتباعهم، وهو قول الكرامية والسالمية وغيرهم.

وهذا القول هو القول المعروف عند متكلمة الصفاتية لم يكن يظهر بينهم غيره حتى جاء من وافق المعتزلة على نفيها

---

(١) درء التعارض (٣/ ٣٨٠، ٣٨١).

وفارق طريقة هؤلاء، وأصل هؤلاء أنهم يثبتون الصفات بالسمع وبالعقل بخلاف من اقتصر على الثمانية، فإنه لم يثبت صفة إلا بالعقل. وقد أثبت طائفة منهم بعضها بالعقل كما أثبت أبوإسحاق الإسفراييني صفة اليد بالعقل، وكما يثبت كثير من المحققين صفة الحب والبغض والرضا والغضب بالعقل»[1].

القول الثاني: قول من ينفي هذه الصفات كما ذكره الشهرستاني وغيره، وهو أضعف الأقوال، فإن عمدته أنه لو كان لله صفة غير ذلك لَوَجَبَ أن ينصب عليها دليلاً لعلمه، ولم ينصب فلا صفة له، وكلتا المقدمتين باطلة فإن دعوى المدعي أنه لابد أن ينصب الله تعالى على كل صفة من صفاته دليلاً باطلاً، ودعواه أنه لم ينصب دليلاً إلا نعلمه هو أيضاً باطل، كما قد بسط الكلام على هذا في غير هذا الموضع، فإن هذه القاعدة إنما هي معدّة لجمل المقاصد.

القول الثالث: قول الواقفة الذين يجوّزون إثبات صفات زائدة لكن يقولون: لم يقم عندنا دليل على نفي ذلك ولا إثباته، وهذه طريقة محققي من لم يثبت الصفات الخبرية،

---

(١) درء التعارض (٣/ ٣٨٢).

وهذا اختيار الرازي والآمدي وغيرهما»[١].

ثم ذكر طرق أهل الإثبات فقال: «وأئمة أهل السنة والحديث من أصحاب الأئمة الأربعة وغيرهم يثبتون الخبرية لكن منهم من يقول: لا نثبت إلا ما في القرآن والسنة المتواترة، وما لم يقم دليل قاطع على إثباته نفيناه، كما يقول ابن عقيل وغيره أحياناً، ومنهم من يقول: بل نثبتها بأخبار الآحاد المتلقاة بالقبول، ومنهم من يقول: نثبتها بالأخبار الصحيحة مطلقاً، ومنهم من يقول: يعطى كل دليل حقه، فما كان قاطعاً إلا في الإثبات قطعنا بموجبه، وما كان راجحاً لا قاطعاً قلنا بموجبه، فلا نقطع في النفي والإثبات إلا بدليل يوجب القطع، وإذا قام دليل يرجح أحد الجانبين بيّنا رجحان أحد الجانبين، وهذا أصح الطرق»[٢].

أول مَنْ اشتُهر عنه نفي الصفات الخبرية من الأشاعرة أبوالمعالي:

قال شيخ الإسلام في الصفات الخبرية: «وأول من اشتهر

---

(١) درء التعارض (٣/ ٣٨٣).
(٢) درء التعارض (٣/ ٣٨٣، ٣٨٤).

عنه نفيها أبوالمعالي الجويني، فإنه نفى الصفات الخبرية، وله في تأويلها قولان، ففي الإرشاد أولها. ثم إنه في «الرسالة النظامية» رجع عن ذلك، وحرَّم التأويل، وبيَّن إجماع السلف على تحريم التأويل، واستدل بإجماعهم على أن التأويل محرم، ليس بواجب ولا جائز، فصار من سلك طريقته ينفي الصفات الخبرية، ولهم في التأويل قولان. وأما الأشعري وأئمة أصحابه فإنهم مثبتون لها يردُّون على من ينفيها أو يقف فيها، فضلاً عمن يتأولها. وأما مسألة قيام الأفعال الاختيارية به: فإن ابن كلاب والأشعري وغيرهما ينفونها وعلى ذلك بنوا قولهم في مسألة القرآن، وبسبب ذلك وغيره تكلَّم الناس فيهم في هذا الباب بما هو معروف في كتب أهل العلم، ونسبوهم إلى البدعة وبقايا بعض الاعتزال فيهم»[١].

وبهذا يكون أبوالمعالي ومن حذا حذوه من الأشاعرة قد وافقوا المعتزلة وتجرءوا على نصوص الشرع بالمصادمة، وعارضوا منهج السلف.

قال شيخ الإسلام: «وهذه الطريقة هي التي سلكها من

---

(١) درء التعارض (٢/١٨).

وافق المعتزلة في ذلك كصاحب «الإرشاد» وأتباعه، وهؤلاء يردون دلالة الكتاب والسنة، وتارة يصرحون بأنا وإن علمنا مراد الرسول فليس قوله مما يجوز أن يُتْبَع به في مسائل الصفات؛ لأن قوله إنما يدل بعد ثبوت صدقه الموقوف على مسائل الصفات، وتارة يقولون: إنما لم يدل لأنا لا نعلم مراده لنظرة الاحتمالات إلى الأدلة السمعية، وتارة يطعنون فيه الأخبار.

فهذه الطرق الثلاث التي وافقوا فيها الجهمية ونحوهم من المبتدعة: أسقطوا بها حرمة الكتاب والرسول عندهم، وحرمة الصحابة والتابعين لهم بإحسان، حتى يقولون: إنهم لم يحققوا أصول الدين كما حققناه، وربما اعتذروا عنهم بأنهم كانوا مشتغلين بالجهاد، ولهم من جنس هذا الكلام الذي يوافقون به الرافضة ونحوهم من أهل البدع ويخالفون به الكتاب والسنة والإجماع»[(١)].

سادساً: منهج الأشاعرة في تأويل الصفات وموقفهم من نصوصها امتداد لمذهب الجهمية والمعتزلة:

العجيب أن أكثر تأويلات المتكلمين من الماتريدية

---

(١) درء التعارض (٢/ ١٤، ١٥، ٢٩).

والأشاعرة قال بها قبلهم ابن الثلجي (ت٢٦٦هـ) وبشر المريسي (ت٢١٨هـ) وبالمقارنة يتبين أن أكثر مقولات الأشاعرة في تأويل الصفات قال بها قبلهم طوائف من الجهمية والمعتزلة، كتأويل الاستواء واليد والعين والوجه[(١)].

بل بشر المريسي نفسه الذي نقل عنه ابن الثلجي جهمي خالص. وابن فورك نقل التأويلات عن بشر وعن ابن الثلجي، ثم صار هذا منهجاً لسائر الأشاعرة فيما بعد[(٢)]، خاصة بعد أبي المعالي الجويني الذي كان أكثر تعمقاً في الأخذ بأصول الجهمية قبل أن يتخلى عن منهج المتكلمين.

قال شيخ الإسلام: «وأبوالمعالي وأتباعه نفوا هذه الصفات موافقة للمعتزلة والجهمية، ثم لهم قولان:

أحدهما: تأويل نصوصها، وهو أول قولي أبي المعالي، كما ذكره في «الإرشاد».

---

(١) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٢٧١، ٢٨٥، ٢٩٠) فقد ذكر الأشعري أن تأويلها من مقالات المعتزلة.

(٢) راجع رد الدارمي على بشر المريسي وانظر تأويل مشكل الحديث لابن فورك.

والثاني: تفويض معانيها إلى الرب، وهو آخر قولي أبي المعالي، كما ذكره في «الرسالة النظامية» وذكر ما يدل على أن السلف كانوا مجمعين على أن التأويل ليس بسائغ ولا واجب.

ثم هؤلاء منهم من ينفيها ويقول: إن العقل الصريح نفي هذه الصفات، ومنهم من يقف ويقول: ليس لنا دليل سمعي ولا عقلي على إثباتها ولا على نفيها، وهي طريقة الرازي والآمدي.

وأبوحامد تارة يثبت الصفات العقلية، متابعة للأشعري وأصحابه، وتارة ينفيها أو يردها إلى العلم موافقة للمتفلسفة، وتارة يقف، وهو آخر أحواله، ثم يعتصم بالسنة ويشتغل بالحديث وعلى ذلك مات»[١].

فأصول الأشاعرة الكلامية إنما هي امتداد لأصول الجهمية والمعتزلة ثم الكلابية، فقد ذكر شيخ الإسلام أن أبا نصر السجزي في رسالته لأهل زبيد روى بسنده عن خلف المعلم (من فقهاء المالكية) (ت٣٧١هـ) قال: «الأشعري أقام أربعين

---

(١) درء التعارض (٥/ ٢٤٩).

سنة على الاعتزال ثم أظهر التوبة، فرجع عن الفروع وثبت على الأصول» «قال أبونصر: «وهذا كلام خبير بمذهب الأشعري وعودته»[(١)].

قلت: وهو وصف صائب لمذهب الأشاعرة.

سابعاً: قولهم في الإيمـان:

خالفت الأشاعرة أهل السنة في الإيمان، فالإيمان عند السلف قول وعمل، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، كما أن السلف يجيزون الاستثناء في الإيمان.

فقالت الأشاعرة: الإيمان هو التصديق، وبعضهم زاد النطق باللسان، وأخرجوا الأعمال من مسمَّى الإيمان، لكنهم يرون الأعمال من لوازم الدين والاتباع، كما أنكروا زيادة الإيمان ونقصانه.

كما أن الأشاعرة لا يستثنون في الإيمان، وأول من أنشأ هذه المقولات الجهمية والمرجئة.

والأشاعرة جبرية (يلغون أثر العبد في أفعاله) وهو ما يسمونه (الكسب).

---

(١) انظر: بيان تلبيس الجهمية (١/١٩٩)، (رشيد) (١٣).

وعلى هذا المذهب أكثر الأشاعرة القدامى، إلا من كان منهم من أهل الحديث، وكذلك كثير من متأخري الأشاعرة لا يقولون في الإيمان كما يقول السلف، بل هم يخالفون في ذلك قول الأشعري الذي ينتسبون إليه، فقد قرر في الإبانة أن الإيمان قول وعمل[١]، لكن يظهر أن عنده اضطراب في تقرير هذا الأصل كما قال شيخ الإسلام: «وأبوالحسن الأشعري نصر قول جهم في الإيمان مع أنه نصر المشهور عن أهل السنة من أنه يستثنى في الإيمان»[٢].

وقد ذكر شيخ الإسلام قول القاضي أبي بكر الباقلاني في التمهيد حيث نصر القول بأن «الإيمان هو التصديق بالله وهو العلم»[٣].

ثامناً: قولهم في كلام الله والقرآن[٤]:

القرآن كما أجمع عليه السلف كلام الله منزل غير

---

(١) الإبانة (٥٩).
(٢) الفتاوى (٧/ ١٢٠).
(٣) الفتاوى (٧/ ١٢١) وانظر التمهيد للباقلاني (٣٣، ٣٨٨، ٣٨٩).
(٤) انظر: الإنصاف للباقلاني (١٣٨) وما بعدها، والإرشاد للجويني (١٠٥) وما بعدها، والمواقف للأيجي (٢٩٣).

مخلوق، تكلم الله به كما يليق بجلاله، سمعه محمد ﷺ من جبريل عليه السلام، وجبريل سمعه من ربِّـه سبحانه على ما يليق بجلال الله، واتفق السلف على أن الله تعالى تكلَّم لمَّا شاء وكلَّم موسى وجبريل وملائكته، ولا يزال سبحانه يتكلم إذا شاء كما يشاء، ويكلم عباده يوم القيامة سبحانه، أما الأشاعرة فقد لَفَّقُوا قولهم بين الإثبات والنفي، فزعموا أن كلام الله تعالى ومنه القرآن معنى قائم بالنفس أزلي ليس بحرف ولا صوت، وأن الله تعالى تكلم به في الأزل، ولا يجوز عندهم أن يتكلم الله تعالى بالمشيئة.

فقولهم إن كلام الله تعالى ليس بحرف ولا صوت ولا لغة بدعة لم يقل بها السلف، بل هذا خلاف السنة وقول السلف، فإن الله يتكلم بصوت كما يليق بجلاله كما صحَّ في الحديث.

«فلما أظهرت الأشعرية كالقاضي أبي بكر بن الباقلاني وغيره في أواخر المائة الرابعة أن الكلام ليس بحرف ولا صوت ولا لغة وقد تبعهم من الفقهاء من أصحاب مالك والشافعي وأبي حنيفة وقليل من أصحاب أحمد، رأى أهل الحديث وجمهور أهل السنة من الفقهاء وأهل الحديث ما في ذلك من

البدعة فأظهروا خلاف ذلك، وأطلق من أطلق منهم أن كلام الله حرف وصوت»[١].

تاسعاً: قولهم في القدر وما يلحق به[٢]:

أهل السنة يؤمنون بالقدر خيره وشره من الله تعالى، وكذلك الأشاعرة لكنهم يخالفون السلف في بعض أصول القدر وما يلحق به من ذلك:

أ - **نفيهم تأثير قدرة العباد في أفعالهم الاختيارية**، وهو ما يسمونه (الكسب)، فهم في مسألة القدر (جبرية).

ب - **إنكارهم السببية في أفعال المخلوقات**، أي أنكروا تأثير الأسباب في مسبباتها حتى أنكروا لام السببية في القرآن.

جـ - **نفيهم العلة والغاية والحكمة في أفعال الله تعالى**، حتى أنكروا لام العلة، وزعموا أن أفعال الله تعالى عائدة إلى محض المشيئة، لا لغاية ولا لحكمة.

---

(١) الفتاوى (١٢/ ٥٨١).
(٢) انظر: الإرشاد للجويني (١٨٨) وما بعدها، والمواقف للأيجي (٣١١) وما بعدها، ونهاية الإقدام (٧٧) وما بعدها، وشرح أم البراهين (٣٦، ٨٠، ٨١).

مذهب الأشاعرة في القدر فرع عن قول الجهمية، وكذلك قولهم بنفي الحكمة والتعليل:

قال شيخ الإسلام: «والأشعري ومن وافقه اتَّبعوا جهماً على قوله في القدر، وإن كانوا يثبتون قدرة وكسباً، لكن ما أثبتوه لا حقيقة له في المعنى، بل قولهم هو قول جهم، وإن نازعوه في إثبات القدرة والكسب. ولهذا كان قولهم في نفي ما في الشريعة من الحِكَم والأسباب خلاف إجماع السلف والفقهاء، فإن من أصولهم أن الله لا يخلق لحكمة ولا يأمر لحكمة، بل ليس عندهم في القرآن لام تعليل في خلقه وأمره، وإذا تكلموا معهم في الأمور الطبيعية أحالوا جميع ذلك على مجرد ترجيح القادر بلا سبب، وأن ما وجد من الاقتران فهو عادة محضة، لا لارتباط بين هذا وهذا، ثم قد يضيفون هذا القول إلى السنة.

وهذا القول لم يقله قط أحد من سلف الأمة ولا أئمة المسلمين، لا الأربعة ولا غيرهم. بل المنصوص عنهم وعن غيرهم خلاف هذا القول، وإن كان قد قاله طوائف من أصحابهم المتأخرين، متابعة لمن قال ذلك من أهل الكلام

المتّبعين لجهم»[١].

وقال: «فالذي عليه جمهور المسلمين من السلف والخلف أن الله تعالى يخلق لحكمة ويأمر لحكمة، وهذا مذهب أئمة الفقه والعلم، ووافقهم على ذلك أكثر أهل الكلام من المعتزلة والكرامية وغيرهم.

وذهب طائفة من أهل الكلام ونفاة القياس إلى نفي التعليل في خلقه وأمره، وهو قول الأشعري ومن وافقه، وقالوا: ليس في القرآن لام تعليل في فعل الله وأمره»[٢].

ثم ناقش الشيخ نفاة التعليل والحكمة.

ويقول شيخ الإسلام عن الأشعري: «ويقول: إنه لا أثر لقدرة العبد أصلاً في فعله، كما يقول ذلك جهم وأتباعه والأشعري ومن وافقه»[٣].

فالأشاعرة في القدر جبرية، ومن هذا نشأ قولهم في الإيمان بأنه التصديق فقط، وقولهم بالإرجاء.

---

(١) الصفدية (٢/ ٣٣١).
(٢) الفتاوى (٨/ ٣٧٧).
(٣) منهاج السنة (٣/ ٣١).

وهكذا البدع يجر بعضها بعضاً. وهكذا تتجارى الأهواء بأصحابها كما يتجارى الكلب بصاحبه كما أخبر النبي ﷺ.

عاشراً: قولهم في الرؤية[1]:

السلف يقولون بما تواترت به النصوص بأن المؤمنين يرون ربهم في الجنة (من فوقهم) بأبصارهم كما يليق بجلال الله سبحانه وتعالى، وبما صحَّ أن الناس يرون ربهم في المحشر.

أما الأشاعرة فإنهم خلطوا بين النفي والإثبات، فقالوا: إن الله تعالى يرى يوم القيامة في الجنة لكنهم ابتدعوا مقولة (إلى غير جهة) وهذا لا هو نفي خالص، ولا إثبات خالص، فلا هم سلَّموا للنصوص دون تحريف، ولا استقام لهم برهانهم العقلي الذي يزعمونه، أما الرؤية في المحشر فأغلبهم يؤولها أو يردُّها.

---

(١) انظر كتاب تأويل الأحاديث لأبي الحسن الطبري (مخطوط) لوحة (٤٤ب)، والاعتقاد للبيهقي (٥١)، والرسالة القشيرية (١/٣٧، ٥١)، والاقتصاد للغزالي (١٠٩ ـ ١١٢)، والأربعين للرازي (٢١٨)، والمحصَّل للرازي (١٨٩).

وقولهم بأن الله يرى (إلى غير جهة) كلام مبتدع جرهم إليه أصلهم الفاسد بتأويل الصفات وإنكار العلو والاستواء الذاتي لله تعالى، لأنهم إذا أثبتوا الرؤية لزمهم إثبات الفوقية والعلو؛ لأن المؤمنين يرون ربهم من فوقهم وهم يسمون العلو والفوقية جهة، ولذا قالوا (من غير جهة) وهذا تناقض بيِّنٌ.

أما السلف فيثبتون ما جاءت به النصوص من الرؤية والعلو والفوقية، ولله الحمد والمنة على توفيقه.

مذهب الأشاعرة في الرؤية ملفقٌ:

قول الأشاعرة في الرؤية ـ كسائر أصولهم التي خالفوا فيها السلف ـ قول ملفق حيث يقولون بالرؤية إلى غير جهة. وهذا ما عليه أغلب الأشاعرة المتأخرين.

وهذه الكلمة آخرها ينقض أولها. فإن الرؤية (أي رؤية المؤمنين لربهم في الجنة ورؤية الخلائق لربهم يوم القيامة في المحشر) ثابتة في النصوص الشرعية (القرآن والسنة) وقولهم: «إلى غير جهة» يلزم منه النفي بعد الإثبات، فإن نفي الجهة مبتدع جرهم إليه مجارات المعتزلة والجهمية في بعض إلزاماتهم الباطلة.

فلذلك جاء قول الأشاعرة ملفق من قول أهل السنة بإثبات الرؤية ومن قول الجهمية والمعتزلة بنفي الجهة، وهذا تناقض ردته الجهمية والمعتزلة كما رده أهل السنة.

والأشاعرة في الرؤية ثلاثة أصناف:

١ ـ **الأشعري يثبت الرؤية مطلقاً كما جاءت**، وعليه طائفة من أصحابه الأوائل، وكذلك أكثر أهل الحديث المنتسبين للأشاعرة.

٢ ـ **قائلون بالرؤية من غير جهة**، وعليه فريق من أصحاب الأشعري، ووافقهم القاضي أبويعلى في المعتمد[(١)].

٣ ـ **والمتأخرون في الأشاعرة كابن الخطيب (الرازي) وأبي حامد الغزالي عادوا إلى قريب من قول المعتزلة والجهمية حيث فسروها بزيادة العلم**[(٢)]. وهذا تعطيل للرؤية.

وقد ذكر ابن رشد أن الأشاعرة تبعوا المعتزلة في الرؤية:

فقال أبوالوليد بن رشد في كتاب (الكشف عن مناهج

---

(١) انظر: بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٤٣٣)، (رشيد).

(٢) انظر: بيان تلبيس الجهمية (١/ ٣٣٤) (رشيد)، وراجع الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي (١٠٩ ـ ١١٢)، والأربعين للرازي (٢١٨)، والمحصّل له (١٨٩).

الأدلة): «القول في الجهة: وأما هذه الصفة فلم يزل أهل الشريعة يثبتونها لله سبحانه حتى نفتها المعتزلة ثم تبعهم على نفيها متأخرو الأشعرية كأبي المعالي ومَنْ اقتدى بقوله، وظواهر الشرع كلها تقتضي إثبات الجهة مثل قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝﴾ [طه: ٥]»[١].

وقال شيخ الإسلام: «الذين قالوا إن الله يرى بلا مقابلة هم الذين قالوا إن الله ليس فوق العالم، فلما كانوا مثبتين للرؤية نافين للعلو احتاجوا إلى الجمع بين هاتين المسألتين. وهذا قول طائفة من الكلابية والأشعرية، ليس هو قول كلهم بل ولا قول أئمتهم»[٢].

* * *

---

(١) مناهج الأدلة (١٧٦) وانظر الصواعق (٢/ ٤٠٤، ٤٠٥) مع الهامش.
(٢) المنهاج (٣/ ٣٤٢).



رءوس الأشاعرة ومتكلموهم
(أصولهم ومناهجهم)

إن كبار الأشاعرة يشكلون اتجاهات متمايزة، وتمثل أصولهم ومناهجهم مدارس مختلفة، مع أنهم يشتركون في الأصول العامة والسمات، فهي لا تخرج في العموم عن مناهج أهل الكلام وعامة الأشاعرة.

إلا أن الباحث عند التحقيق والتدقيق يجد فوارق واضحة في تفصيلات الأمور بين اتجاهات كبارهم وسماتهم ومناهجهم، لاسيما وأن مذهب الأشاعرة متغير، وقد مرَّ بأطوار ومراحل تدرجت به من مجرد نزعات ومقالات محدودة كان الأشعري يخالف فيها السلف ويوافقهم فيما عداها، إلى أصول ومناهج بعدت عن أصول السلف ومناهجهم إلى أن صارت أشبه بمناهج الجهمية والمعتزلة من ناحية، واختلطت بالفلسفة والتصوف والمقابرية من ناحية ثانية.

واتخذت في العصور المتأخرة مواقف حادة ومناقضة في كثير من الأصول لطريقة السلف ومناهجهم في بعض أصول

العقيدة.

فالأشعرية المعاصرة خليط من الاتجاهات والمذاهب والفرق يجمعها: الفلسفة والكلام والتصوف والإرجاء والجبر والقبورية، وقد يوجد ممن ينتسب للأشاعرة من يسلم من هذه الأخلاط أو بعضها لكنه قليل وليس على نهجهم العام.

وليس موضوع حديثي هنا عن الأشاعرة المعاصرين لأنهم على نهج أسلافهم منذ القرن السابع والثامن، إنما سأتحدث عن كبارهم من زمن الأشعري نفسه إلى القرن الثامن حيث استقرت أصول الأشاعرة على قواعدهم التي تتمثل في الكلام والتأويل والفلسفة والتصوف والجبر والإرجاء، وما صاحب ذلك من تطورات ومراحل بإيجاز، ومن **أبرز أعلام الأشاعرة**.

١ ـ أبوالحسن الطبري (ت٣٨٠هـ) تقريباً:

من كبار تلامذة الأشعري[(١)].

ومنهجه يتلخص بما يلي[(٢)]:

١ ـ سار على نهج أبي الحسن الأشعري وزاد عليه بعض

---

(١) انظر تبيين كذب المفتري (١٩٥).

(٢) انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة للدكتور عبدالرحمن المحمود (٢/ ٥٤٣ ـ ٥٥٤).

التأويلات والكلاميات، فالنزعة الكلامية عنده واضحة بأكثر مما كان عليه الأشعري.

٢ ـ **منهجه في الصفات مضطرب**، فهو يثبت بعض الصفات كالاستواء والعلو، ويؤول بعضها كالنزول والمجيء والإتيان، والضحك والعجب[١].

٣ ـ **لهجته على أهل الحديث فيها شدة**[٢]، وقد صار هذا منهجاً للأشاعرة فيما بعد.

٤ ـ **يتناول تقرير مسائل العقيدة بأسلوب تظهر عليه النزعة الكلامية**، فهو يحاذر من الإثبات، ويبالغ في نفي التشبيه، وبالمقابل يميل للنفي والتعطيل.

٥ ـ **يقول بالرؤية لكنه يشير إلى نفي المقابلة**[٣].

٢ ـ أبوبكر ابن الباقلاني (ت٤٠٣هـ)[٤]:

أشعري متكلم، مالكي في المذهب الفقهي.

---

(١) انظر: كتابه تأويل الأحاديث المشكلة لوحة (٢٤أ، ب و٢٧ أب) (المحمود).
(٢) المصدر نفسه لوحة (١ ـ أ ب) (المحمود).
(٣) المصدر نفسه لوحة (٤٤ ب) (المحمود).
(٤) انظر: تبيين كذب المفتري (٢١٧)، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة (٢/ ٥٥٤ ـ ٥٨٥).

تتلمذ على تلامذة أبي الحسن الأشعري، كالباهلي وابن خفيف، وتتلمذ عليه أبوذر الهروي الذي نقل مذهب الأشاعرة إلى الحرم، ومنه إلى المغرب، وهو كذلك مالكي في المذهب الفقهي(١)، ومن تلامذة الباقلاني: الحسين بن حاتم الأزدي، وكان قد أرسله الباقلاني إلى دمشق ليعلم الناس التوحيد! ثم انتقل للمغرب فنشر المذهب هناك(٢).

ومنهجه يتلخص فيما يلي:

١ - **يذهب إلى أن أول واجب على العبد النظر**(٣) كما يقول الفلاسفة وأهل الكلام، وقد خالف الأشعري بهذا.

٢ - **يستدل على التوحيد بالطريقة الكلامية المبتدعة** (حدوث الأجسام وثبوت الأعراض)(٤) وخالف الأشعري بهذا.

٣ - **يثبت الصفات الخبرية كاليد والوجه وكذلك الاستواء**

---

(١) انظر: تبيين كذب المفتري (٢٥٦)، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة (٢/٥٥٥).

(٢) انظر: تبيين كذب المفتري (٢٥٦).

(٣) انظر: الإنصاف (٢٢، ٣٣).

(٤) الإنصاف (٢٧، ٢٨، ٢٩، ٤٦).

والعلو، ويؤول الصفات الأخرى كالغضب والرضا والحب والبغض، والرحمة والسخط[١] وعلى هذا فهو:

٤ ـ **ينفي (مثل شيخه الأشعري) تعلق صفات الله بالمشيئة** (الصفات الاختيارية)[٢].

٥ ـ **يعد الباقلاني المؤسس الثاني لمذهب الأشعري** فقد:

٦ ـ **نشر المذهب الأشعري بقوة**، وأرسل تلاميذه لنشره في الحرم، والشام والمغرب، كما حصل من بعثه لأبي ذر الهروي[٣] والحسين الأزدي[٤].

٧ ـ **وكان قوياً في رده على المعتزلة**، وغيرهم.

٨ ـ **وتأثر به بعض المنتسبين للحنابلة** كالتميميين حيث أخذوا عنه بعض المباحث الكلامية[٥].

٣ ـ محمد بن الحسين بن فُورَك أبوبكر (ت٤٠٦هـ):

متكلم أشعري مؤوِّل، أخذ الأشعرية عن أبي الحسن

---

(١) الإنصاف (٦١)، والتمهيد (٤٧).
(٢) انظر: التمهيد (٢٩٨، ٢٩٩).
(٣) انظر: تبيين كذب المفتري (٢٥٦).
(٤) انظر: تبيين كذب المفتري (٢١٦، ٢١٧).
(٥) انظر: تبيين كذب المفتري (٢٢١، ٣٩٠)، وموقف ابن تيمية (٢/ ٥٨٠).

الباهلي تلميذ الأشعري[١]، ومن أشهر تلاميذه من الأشاعرة: البيهقي والقشيري[٢].

ومنهجه يتلخص فيما يلي:

١ ـ **له عناية بالحديث**، وينهج في أحاديث الصفات نهج المتكلمين الجهمية كالمريسي ومَن سلك سبيله مثل: ابن الثلجي، فقد نقل ابن فورك عن ابن الثلجي بعض تأويلاته التي أخذها عن المريسي[٣].

٢ ـ **يستدل على التوحيد بدليل الأعراض والأجسام على منهج المتكلمين**[٤].

٣ ـ **يسلك في الصفات منهجاً مضطرباً، ويؤول أكثر ممن سبقوه من الأشاعرة أحياناً**، وقد يثبت الصفات الخبرية كاليدين والوجه والعين، ثم يعود إلى تأويلها مرة أخرى، فهو مضطرب في ذلك ويؤول أكثر الصفات الأخرى،

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢١٦).
(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢١٥).
(٣) راجع كتابه: مشكل الحديث.
(٤) انظر كتابه: مشكل الحديث (٤٣).

وخالف الأشاعرة الذين سبقوه وتجرأ على ما لم يفعلوه كتأويل الاستواء والعلو[١].

فقد اعتمد في تأويلاته على منهج محمد بن شجاع الثلجي، وبشر المريسي الجهمي، وقد أفرد لذلك كتاباً ملأه بالتأويلات التي نقل الكثير منها عن كتاب (الرد على المشبهة) لابن الثلجي أعني بذلك كتابه (مشكل الحديث).

وهذه طائفة من تأويلات منتزعة من كتابه مشكل الحديث، تحقيق عبدالمعطي قلعجي، ط(١):

تأويل الصورة ص(١٢)، تأويل القبضة ص(٣٢)، تأويل القدم ص(٤٤)، تأويل الضحك ص(٤٨)، تأويل العلو (حديث أين الله) ص(٥٧)، تأويل الفرح ص(٦٣)، تأويل العجب ص(٦٦، ١٤٥)، تأويل النزول (٧١)، تأويل اليد (٩٦)، تأويل الوجه (١٦٩)، تأويل الاستواء (١٧٧، ١١٦)، تأويل التجلي (٩٧)، وغير هذا كثير.

---

(١) انظر كتابه: مشكل الحديث (١٨٦).

٤ ـ يثبت كلام الله تعالى على طريقة أسلافه حيث ينفي تعلق كلام الله تعالى بالمشيئة[١].

٥ ـ يسوق أحاديث موضوعة في الصفات ثم يتكلف تأويلها وكأنها ثابتة مثل:

«الحجر الأسود يمين الله»[٢]، «إن الله لما قضى خلقه استلقى»[٣] تعالى الله وتقدس، «وأن الله خلق الملائكة من شعر الذراعين»[٤]، وهذه أخبار لا أصل لها، فكيف يتكلف تأويلها.

والخلاصة: أن ابن فورك عَمَّق المنهج التأويلي عند الأشاعرة، وتوسع فيه حتى صار التأويل عنده هو الأصل، والإثبات هو القليل.

٤ ـ الخطابي أبوسليمان (ت٣٨٨هـ):

محدث أشعري، ومنهجه أقرب من سائر الأشاعرة إلى

---

(١) انظر كتابه: مشكل الحديث (١٨٣ ـ ١٨٦).
(٢) انظر كتابه: مشكل الحديث (٤١).
(٣) انظر كتابه: مشكل الحديث (٤٢).
(٤) انظر كتابه: مشكل الحديث (٥١، ٥٢).

منهج المحدثين، ويحاذر من التأويل المباشر، فطريقة الخطابي في تقرير الصفات هي طريقة الصفاتية الأوائل من المتكلمين كابن كلاب والأشعري، ثم البيهقي في آخر أمره، وابن عقيل في آخر أمره، وهي تأويل بعض النصوص ولا تجرى على ظاهرها عندهم، مثل: تعلق الرحم بحقو الرحمن، والجنب، وإثبات الصفات الخبرية كاليد والوجه والعين، وإثبات الاستواء والعلو. **وله تأويلات تشبه تأويلات ابن الثلجي، وهي طريقة تخالف ما عليه جمهور السلف أئمة الحديث وأئمة الفقه وأئمة الصوفية الأوائل، فإن طريقتهم أكمل وأتبع للسنة[1]، لأن مبناها على التسليم لله تعالى ولرسوله ﷺ.**

والبيهقي ينقل عن الخطابي كثيراً من تأويلاته التي ذكرها في كتابه (الأسماء والصفات).

وللخطابي كلام جيد في ذم الكلام وأهله في رسالته (الغنية عن الكلام وأهله)[2].

---

(١) انظر: بيان تلبيس الجهمية (١/ ٢٧٦) (اليحيى).
(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٦)، وصون المنطق (٩١).

٥ ـ عبدالقاهر بن طاهر أبومنصور البغدادي (ت٤٢٩هـ):

صاحب كتاب (الفرق بين الفرق) أشعري متكلم، تتلمذ على أبي إسحاق الإسفراييني، وعقيدته لا تخرج كثيراً عمن سبقوه إلا في أشياء قليلة. ومن منهجه:

١ ـ **تأويله للصفات الخبرية دون تردد كالوجه واليدين**[١]، وهذه جرأة من البغدادي على سلوك منهج الجهمية في الصفات سلكها من بعده من الأشاعرة المتكلمين.

٢ ـ **وكان يعرض مذهب الأشاعرة على أنه مذهب أهل السنة والجماعة**[٢].

٣ ـ **زعم أن بعض الصحابة وأئمة التابعين من المتكلمين،** كعلي وابن عمر وعمر بن عبدالعزيز، والحسن البصري، والزهري، والشعبي والشافعي[٣]، وفي هذا تابع المعتزلة حيث زعموا أن أكثر هؤلاء الصحابة والأئمة أسلافهم في الكلام، وهي فرية هم برآء منها، بل هؤلاء الأئمة من

---

(١) انظر: أصول الدين للبغدادي (١٠٩، ١١٠)..

(٢) انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٢/ ٦٠٨).

(٣) انظر: المصدر السابق (٢/ ٦١٠).

أشهر خصوم المتكلمين، فاعلم رعاك الله..

٤ ـ **خبر الواحد عنده لا يفيد العلم**، وهذا كذلك فتقٌ كبيرٌ في مصادر التلقي ومنهج الاستدلال لم يجرؤ عليه إلا الجهمية والمعتزلة قبل ذلك.

٦ ـ أحمد بن الحسين البيهقي (ت٤٥٨هـ):

محدث جليل القدر شافعي أشعري. تتلمذ على أبي ذر الهروي، والبغدادي من المتكلمين.

ومنهجه يتلخص فيما يلي:

١ ـ **تعميق الرابطة بين مذهب الأشاعرة في الاعتقاد بالشافعية في الفقه**[١].

٢ ـ **يثبت الصفات الخبرية كاليدين والوجه**[٢].

٣ ـ **يتأول بعض الصفات مثل**: النفس، والصورة، والنور، والساق، والقدم[٣].

---

(١) انظر: موقف ابن تيمية (٢/ ٦١١)..

(٢) انظر: الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٢٥ ـ ٥٣).

(٣) راجع: الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ١٥، ١٧، ٣٧، ٣٩، ٧٩، ٨٦).

٤ ـ في أكثر تأويلاته ينقل عن الخطابي ثم يتابعه أو يسكت[١].

٥ ـ يوافق الأشاعرة وسائر أهل الكلام في الاستدلال بالجواهر[٢] والأعراض[٣].

٦ ـ يخالف السلف في مسألة الأفعال الاختيارية، ويقول بقول أهل الكلام في عدم تعلق أفعال الله تعالى بالمشيئة، أو ما يسمونه (نفي حلول الحوادث به)[٤].

٧ ـ قوله في صفة الكلام لله تعالى على نحو قول الأشاعرة والكلابية[٥].

٨ ـ يقول بالرؤية مع نفي الجهة، وهو قول أهل الكلام من (الأشاعرة) وغيرهم[٦].

٩ ـ ينفي تأثير الأسباب في مسبباتها (التعليل) كما فعل أسلافه

---

(١) راجع: الأسماء والصفات.

(٢) رقم (٥) و(٦) ملخص عن كتاب (البيهقي وموقفه من الإلهيات) للدكتور أحمد بن عطية الغامدي.

(٣) انظر: الاعتقاد ص(٧) وما بعدها.

(٤) انظر: الاعتقاد ص(٣٢).

(٥) انظر: الأسماء والصفات ص(٢٢٨ ـ ٢٣٠، ٢٧٠).

(٦) انظر: الاعتقاد ص(٥١).

من الأشاعرة[١].

٩ ـ القشيري عبدالكريم بن هوازن (ت٤٦٥هـ):

أشعري صوفي متكلم، ومنهجه يتلخص فيما يلي:

١ ـ **ينكر قيام الصفات الاختيارية بالله تعالى** (تعلق الأفعال بالمشيئة) ويسمونها (حلول الحوادث به[٢]) كما سبق بيانه.

٢ ـ **ينكر العلو**[٣].

٣ ـ **يثبت الرؤية لكنه يقول: بلا مقابلة**[٤] كسائر متكلمة الأشاعرة.

٤ ـ **يؤول بعض الصفات**، مثل المحبة والضحك[٥] ونحوهما.

٥ ـ **ينكر التعليل في أفعال الله تعالى**[٦].

٦ ـ **واشتهر بدفاعه عن الأشاعرة**، ومن ذلك رسالة (الشكاية)

---

(١) انظر: الاعتقاد ص(٦٢ ـ ٦٦).
(٢) انظر: شرح أسماء الله الحسنى له ص(٢٦، ٤٣، ١٣٤، ١٦٤).
(٣) انظر: الرسالة القشيرية (١/ ٤٤، ٤٥).
(٤) انظر: الرسالة القشيرية (١/ ٣٧، ٥١).
(٥) انظر: شرح أسماء الله ص(٢٣٩، ٢٧٦)، والرسالة (٢/ ٦١١).
(٦) انظر: انظر شرح أسماء الله ص(٣١).

المشهورة[١].

٧ ـ **وقرن بين المذهب الأشعري والتصوف**[٢]، وقبله كان بين الأشاعرة والتصوف فصام ظاهر.

٨ ـ **فالقشيري متصوف جلد**، ويؤمن بمصطلحات الصوفية البدعية، ومن ذلك إيمانه بالقطب والأغواث والأوتاد والأبدال[٣]، وله آراء تصوفية خطيرة[٤].

٨ ـ أبو المعالي عبدالملك الجويني (ت٤٧٨هـ):

أشعري متكلم، من أكابرهم، شافعي، **ويتلخص منهجه فيما يلي**:

١ ـ **استخدم المناهج الفلسفية والمقدمات العقلية وبعض أصول** الجهمية والمعتزلة في مناهج الأشاعرة[٥].

---

(١) انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٢/ ٦٢٣).
(٢) انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٢/ ٦٢٦).
(٣) السابق (٢/ ٦٢٨).
(٤) السابق (٢/ ٦٢٨ ـ ٦٣٠)، وانظر: لطائف الإشارات ص(٢٧).
(٥) انظر: الإرشاد ص(٢٥ ـ ٩٤)، ولمع الأدلة ص(٨٦ ـ ٩٢)، والشامل ص(٦٣٩ ـ ٦٤٥)، وبغية المرتاد ص(٤٥٠)، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة (٢/ ٦٤٠ ـ ٦٤٧).

٢ ـ أدخل المصطلحات الفلسفية والمقدمات العقلية والمنطقية في أصول الفقه، مثل: صيغ الأمر، والكلام النفسي، والاستطاعة، والمعجزة، وتكليف ما لا يطاق، والتحسين والتقبيح[١].

٣ ـ توغل وبالغ في التأويل بما لم يسبقه غيره من الأشاعرة، حيث أوَّل الصفات الخبرية، وأوَّل الاستواء والعلو على نحو تأويلات الجهمية والمعتزلة[٢].

٤ ـ خبر الآحاد عنده لا يفيد العلم[٣]، حيث تابع البغدادي والجهمية والمعتزلة في ذلك.

٥ ـ يصف أهل السنة والحديث بالحشوية، يقول: «ذهبت الحشوية من الحنابلة وكتبة الحديث إلى أن خبر الواحد العدل يوجب العلم، وهذا خزي لا يخفى مدركه على ذي لب»[٤] ومعلوم أن أئمة السلف وأعلام الهدى كلهم يرون

---

(١) انظر: البرهان (١/١٠٢، ١٤٥، ١٤٨، ١٩٩، ٢١٢، ٢٧٦)، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة (٢/٦٤٧ ـ ٦٤٨).

(٢) انظر: الأدلة ص(١٠٨)، والإرشاد ص(١٤٦) وما بعدها.

(٣) انظر: الشامل ص(١٠٠)، والإرشاد ص(٣٥١).

(٤) البرهان (١/٦٠٦)، وانظر موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٢/٦٣٧).

أن خبر الواحد إذا ثبت يوجب العلم والعمل. لكنْ أبو المعالي هنا صادر منهم دينهم وعقيدتهم وعقولهم، نعوذ بالله من الهوىٰ والخذلان.

٦ ـ **اعتماده في تقرير الصفات وغيرها على أصول الجهمية والمعتزلة** وكبار متكلمي الأشاعرة الذين سبقوه كابن فورك والباقلاني.

قال شيخ الإسلام: «وأما شيخه أبوالمعالي فمادته الكلامية أكثرها من كلام القاضي أبي بكر ونحوه، واستمد من كلام أبي هاشم الجبائي على مختارات له، وكان قد فسَّر الكلام على أبي قاسم الأسكاف عن أبي إسحاق الإسفراييني ولكن القاضي هو عندهم أولى.

ولقد خرج عن طريقة القاضي وذويه في مواضع إلى طريقة المعتزلة.

وأما كلام أبي الحسن نفسه: فلم يكن يستمد منه، وإنما ينقل كلامه مما يحكيه عنه الناس»(١).

وكان الجويني كثير المطالعة لكتب أبي هاشم بن

---

(١) انظر: بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٥٥٠ ـ ٥٥٢) (حقي).

الجبائي[١]، ولعل هذا مما جعله يربط أصول الأشاعرة بالمنهج الاعتزالي والجهمي.

٧ ـ **أبوالمعالي الجويني أعلن رجوعه لمذهب السلف في آخر الأمر، لكنه حكى التفويض عنهم**. فقد نقل عنه الذهبي في الرسالة النظامية قوله: «وذهب أئمة السلف إلى الانكفاف عن التأويل، وإجراء الظواهر على مواردها، وتفويض معانيها إلى الرب عز وجل، والذي نرتضيه ديناً، وندين الله به عقيدة، اتباع سلف الأمة، والدليل القاطع السمعي في ذلك، وأن إجماع الأمة حجة متبعة، فلو كان تأويل هذه الظواهر مسوغاً أو محتوماً، لأوشك أن يكون اهتمامهم بها فوق اهتمامهم بفروع الشريعة، وإذا انصرم عصر الصحابة والتابعين على الإضراب عن التأويل، كان ذلك هو الوجه المتبع، فلتجر آية الاستواء وآية المجيء وقوله ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] على ذلك»[٢].

قلت: فهل يعي الأشاعرة والماتريدية ومن سلك سبيلهم

---

(١) بغية المرتاد ص(٤٥٠).

(٢) العلو للعلي الغفار (١٨٧، ١٨٨).

هذه النصيحة من إمامهم أبي المعالي؟!

فالجويني أعلن رجوعه عن التأويل ومنهج المتكلمين.

قال شيخ الإسلام: «فأبوالمعالي كان يقول بالتأويل، ثم حرَّمه وحكى إجماع السلف على تحريمه»[١].

قلت: سبحان الله أين الأشاعرة عن هذا الموقف؟ وكيف انتهى أمر هذا الأشعري المتكلم الجلد إلى نسف ما بنى. ولعل هذا من لطف الله به، وعلمه بصدق توجهه حيث وفَّقه للتوبة. لكن ماذا يقول الأشاعرة؟!

٩ ـ أبوحامد محمد بن محمد الغزالي (ت٥٠٥هـ):

فيلسوف متكلم أشعري، صوفي باطني، **وتتلخص أصوله فيما يلي**[٢]:

١ ـ الغزالي أشعري متكلم صوفي بما تعنيه الألفاظ.

٢ ـ أنه ممن أصَّل قاعدة التأويل عند المتكلمين باعتبار العقل

---

(١) الفتاوى (١٦/ ٦١).

(٢) ملخص عن موقف ابن تيمية من الأشاعرة للدكتور عبدالرحمن المحمود (٢/ ٦٥٤ ـ ٦٧٧).

محكم ومقدم على الشرع! وأنه أصل للتلقي في العقيدة[١]، مما مهد للرازي وطريقته، وامتداد لابن سينا[٢] من ناحية، والجويني[٣] من ناحية أخرى.

٣ ـ **الخلط بين المناهج المتناقضة** (فلسفة، أشعرية، جهمية، تصوف، إشراق).

٤ ـ **نقل نزعة التصوف عند بعض الأشاعرة من الاعتدال مع بعض الانحرافات**، إلى التصوف الإشراقي الفلسفي، والشطحات الصوفية، وادعاءات الكشف، والعلم اللدني، والأسرار والعقائد الخفية[٤].

٥ ـ **كثيراً ما يشير إلى تقسيم الناس إلى خواص وعوام في فهم الدين**، وهذه نزعة فلسفية باطنية[٥]، ويمثل هذه الاتجاهات كلها كتابه (إحياء علوم الدين) وغيره من مصنفاته. لكن كتابه: (إحياء علوم الدين) يعد أنموذجاً

---

(١) راجع قانون التأويل للغزالي (المحمود) (٢/ ٦٦١)، والاقتصاد في الاعتقاد ص(٣٢، ٣٤، ١٠٧، ١٠٨).

(٢) انظر: الأضحوية ص(٩٧)، تحقيق حسن عاصي.

(٣) انظر: الإرشاد ص(٣٠١).

(٤) انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٢/ ٦٧٧).

(٥) انظر: المقصد الأسنى ص(١٠٨).

للتخليط الذي صار إليه متصوفة الأشاعرة، فكلٌّ يجد فيه بغيته مِن حق أو باطل، ومِن هدى أو ضلال، وسنن ومبتدعات.

٦ ـ **يعد الغزالي ممن قال بنظرية الشك في الاعتقاد**، وقد مارس الشك فعلاً[١] نسأل الله العافية والسلامة.

٧ ـ **نظرة الغزالي للسلف قاتمة**، ويكثر من لمزهم والسخرية بهم، من ذلك:

تسميته من أثبت العلو الذاتي والاستواء (حشوي) وجعل السلف وأهل السنة والحديث برتبة البهائم حينما لم يسلكوا مسلك التأويل، قال: «والعجب من الحشوي الذي لا يفهم من فوق إلا المكان»[٢].

فقد زعم الغزالي أن الفوقية لله تعالى هي فوقية الرتبة فحسب، وأن هذا معنى كونه تعالى على العرش[٣]! وكان قبل هذا قال: «فإن هذه الأسامي وضعت أولاً بالإضافة

---

(١) انظر: المنقذ ص(٦٧)، وميزان العلم ص(١٥٣) وسيأتي بيان ذلك في رقم (١١).

(٢) المقصد الأسنى ص(١٠٨).

(٣) انظر: المصدر السابق ص(١٠٨).

إلى إدراك البصر وهو درجة العوام، ثم كما تنبه الخواص لإدراك البصائر ووجدوا بينها وبين الأبصار موازنات استعاروا منها الألفاظ المطلقة، وفهمها الخواص وأدركوها، وأنكرها العوام الذين لم يجاوز إدراكهم عن الحواس التي هي رتبة البهائم، فلم يفهموا عظمة إلا بالمساحة، ولا علواً إلا بالمكان، ولا فوقية إلا به»[١].

قلت: تأمل هنا الخبط والخلط، حيث صور مذهب السلف بالصور الشنيعة، ولقَّبهم بالعوام، وحمَّلهم من الألفاظ ما هم بريئون منه مثل: المساحة والمكان، ومن قال من السلف بالمساحة والمكان؟! لكنه يقصد: العلو والفوقية والاستواء على العرش. وعبَّر عنها بالألفاظ المبتدعة لينفر من مذهب السلف، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وتأمل رحمك الله ـ أيضاً ـ فإن أئمة الهدى صاروا هم العوام عنده، وبرتبة البهائم، فإنهم قرروا الفوقية والعلو والاستواء بالذات والرتبة، كما ثبت بالنصوص في الكتاب

(١) انظر: المصدر السابق ص(١٠٨).

والسنة.

٨ ـ **منهج الغزالي في تفسيره لأسماء الله تعالى (كلامي وصوفي وفلسفي)**، فهو لا يفسر الأسماء بالمعاني التي تدل على الوجود الذاتي والعلو والفوقية والاستواء لله تعالى، مثاله:

أ ـ **تفسيره الصمد**، فقد ثبت عن جمع من الصحابة أنه الذي لا جوف له، لكنه فسَّره بجزء معناه، وهو الذي تصمد إليه الخلائق، إذ ينتهي إليه منتهى السؤدد[(١)]، وهذا حق، لكنه أغفل المعنى الآخر وهو حق ثابت.

ب ـ **تفسيره (القابض الباسط)** تفسير صوفي كلامي[(٢)].

جـ ـ **تفسيره العلي** بتفسير كلامي صوفي[(٣)].

د ـ **وانظر تفسيره (الحكيم)** بالمعرفة والعلم؛ فلسفي كلامي[(٤)].

---

(١) انظر: المقصد الأسنى ص(١٣٤).
(٢) انظر: المقصد الأسنى ص(٨٨).
(٣) انظر: المقصد الأسنى ص(١٠٨).
(٤) انظر: المقصد الأسنى ص(١٢٠).

هـ ـ **فسَّر القيوم** بتفسير كلامي صوفي[١].

و ـ **فسَّر الواحد** بتفسير كلامي[٢].

ز ـ **تقريره أن جميع أسماء الله ترجع إلى ذات وسبع صفات**[٣].

٩ ـ **وكذلك في سائر صفات الله تعالى،** فإن منهج الغزالي يجمع بين منهج أهل الكلام والتفسير الصوفي والباطني، فقد أوَّل الصفات مثل: اليد والقدم والنزول والاستواء والفوقية، والأصبع، والصورة[٤].

أما نزعته الصوفية الباطنية، فتظهر في مثل قوله في نصوص صفات الله تعالى: «أنه قصد بهذا الخطاب تفهيم من هو أهله، وهم الأولياء والراسخون في العلم»[٥] فزعم أن نصوص الصفات لا يفهمها عامة المسلمين، ولا علماء الحديث والسُّنَّة؛ لأنهم عنده مِن العوامّ.! كما قرر ذلك

---

(١) انظر: المقصد الأسنى ص(١٣٢).
(٢) انظر: المقصد الأسنى ص(١٣٣).
(٣) انظر: المقصد الأسنى ص(١٥٧).
(٤) انظر: كتابه إلجام العوام (٥٢ ـ ٥٩).
(٥) إلجام العوام (٦٠).

في كتابه (المقصد الأسنى) وكتابه (إلجام العوام) وغيرهما.

١٠ ـ مصادر الغزالي خليط من علم الكلام والفلسفة والتصوف.

قال شيخ الإسلام: «وأبو حامد مادته الكلامية من كلام شيخه في الإرشاد والشامل ونحوهما مضموماً إلى ما تلقاه من القاضي أبي بكر الباقلاني، لكنه في أصول الفقه سلك في الغالب مذهب ابن الباقلاني. مذهب الواقفة وتصويب المجتهدين ونحو ذلك، وضمَّ إلى ذلك ما أخذه من كلام أبي زيد الدبوسي وغيره في القياس ونحوه. وأما في الكلام فطريقته طريقة شيخه دون القاضي أبي بكر. وشيخه في أصول الفقه يميل إلى مذهب الشافعي وطريقة الفقهاء التي هي أصوب من طريقة الواقفة، ومادة أبي حامد في الفلسفة من كلام ابن سينا، ولهذا يقال: أبو حامد أمرضه الشفاء، ومن كلام أصحاب رسائل إخوان الصفا، ورسائل أبي حيّان التوحيدي ونحو ذلك: وأما في التصوف، وهو أجل

علومه وبه نبل، فأكثر مادته من كلام الشيخ أبي طالب المكي الذي يذكره في المنجيات وفي الصبر والشكر والرجاء والخوف والمحبة والإخلاص، فإن عامته مأخوذ من كلام أبي طالب المكي، لكن كان أبوطالب أشد وأعلى.

وما يذكره في ربع المهلكات فأخذ غالبه من كلام الحارث المحاسبي في الرعاية، كالذي يذكره في ذم الحسد والعجب والفخر والرياء والكبر ونحو ذلك»[١].

١١ ـ اعتراف الغزالي بالشك ثم زعمه تحصيل المعارف بالكشف الصوفي!

يعترف الغزالي ـ بل يصرح ـ أنه بقي شاكاً في عقيدته زمناً، وهذا حدث وعمره قريب من الخمسين، كما صرح بذلك في المنقذ من الضلال، وأنه حينما اعترته الحيرة والشك بقي قريباً من شهرين قال: فأعضل هذا الداء ودام قريباً من شهرين، أنا فيهما على مذهب

---

(١) بغية المرتاد ص(٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠).

السفسط بحكم الحال لا بحكم النطق والمقال، حتى شفاني الله تعالى من ذلك المرض»[١].

وذكر أنه حصل له اليقين بلا دليل وترتيب كلام وإنما على الطريقة الصوفية، قال: «ولم يكن ذلك بنظم دليل وترتيب كلام، بل بنور قذفه الله تعالى في الصدر، وذلك النور هو مفتاح أكثر المعارف»[٢].

قلت: وهكذا يعبث الشيطان بأوليائه، فأينه حينما اعتراه مرض الشك عن كتاب الله، الذي فيه الشفاء والنور والهدى؟!

١٢ - **يقال إن الغزالي ترك علم الكلام والفلسفة وسلَّم بما عليه السلف وتاب عن مسلكه ومنهجه الذي كان عليه وأكب على الحديث** والله يغفر لنا وله ولسائر المسلمين. والله أعلم.

١٠- محمد بن عبدالله البربري (ابن تومرت) (ت٥٢٤هـ):

أشعري متكلم، متصوف، فيه نزعة شيعية واعتزالية.

---

(١) المنقذ من الضلال ص٦٧ (تحقيق جميل صليبا).

(٢) المنقذ من الضلال ص(٦٧، ٦٨).

ويتلخص منهجه فيما يلي[١]:

١ ـ مؤسس دولة الموحدين، ونصر مذهب الأشاعرة لأنه أقرب (في جانب التأويل وتقديم العقل) إلى نزعته الاعتزالية الشيعية.

٢ ـ حارب دولة المرابطين السنية وكان يرميهم (بالمجسمة) كما يفعل متكلمة الأشاعرة.

٣ ـ ألف كتاب (المرشدة) على مذهب الأشاعرة وألزم به في دولته، مما ساعد على نشر مذهب المتكلمين في المغرب، وتلاشي مذهب أهل السنة والجماعة، وبدأت غربته هناك.

٤ ـ نزعته كلامية اعتزالية شيعية، وكان يلقب بـ (الإمام المعصوم).

٥ ـ ادعى ابن تومرت المهدية وتسمى هو وأصحابه بالموحدين.

٦ ـ ابن تومرت لم يكن أشعرياً خالصاً:

---

(١) ملخص عن موقف ابن تيمية من الأشاعرة (المحمود) ص(٦٧٨ ـ ٦٨٠). وانظر: وفيات الأعيان (٣/ ٢٨٣)، والمهدي بن تومرت للنجار ص(٣٥٦) وما بعدها، وطبقات السبكي (٨/ ١٨٥، ١٨٦)، وأخبار المهدي بن تومرت للصنهاجي ص(١١) وما بعدها.

وابن تومرت ليس أشعرياً خالصاً ولا يمكن حسبانه في جميع أحواله على الأشاعرة؛ لأن في منهجه ما تتبرأ منه الأشاعرة، لكنه تبنى مذهب الأشاعرة ونشره بقوة السيف، ونصره بقلمه أيضاً، فعلى هذا يمكن أن نعده من هذا الجانب من رءوس الأشاعرة مثله مثل الغزالي.

لاسيما وأن مناهج الأشاعرة منذ عهد الجويني والغزالي والرازي والقشيري تقبل الاندماج مع أي منهج آخر لاعتمادها على العقلانية والتصوف والكلام والفلسفة، فصارت خليطاً من هذه المشارب وغيرها، وأخذت بمبدأ (زي بعضِه) على لهجة إخواننا المصريين، والمسامح كريم.

ومع ذلك فإن الأشعرية لا تزال ترفض التشيع، ولعل ذلك بسبب مرارة التجربة مع العبيديين في مصر والمغرب.

وقد شذَّ ابن تومرت عن منهج الأشاعرة في أمور كبيرة، منها: دعواه المهدية وغلو أصحابه به.

قال شيخ الإسلام: «وأقبح من غلو هؤلاء ما كان عليه المسمون بالموحدين في متبوعهم الملقب بالمهدي محمد بن

التومرت الذي أقام دولته بما أقامها به من الكذب والمحال وقتل المسلمين واستحلال الدماء والأموال، فعل الخوارج المارقين، ومن الابتداع في الدين، مع ما كان عليه من الزهد والفضيلة المتوسطة، ومع ما ألزمهم به من الشرائع الإسلامية والسنن النبوية فجمع بين خير وشر، لكن من أقبح ما انتحلوه فيه خطبتهم له على المنابر بقولهم: الإمام المعصوم والمهدي المعلوم.

وبلغني أن بعض عقلاء خلفائهم جمع العلماء فسألهم عن ذلك فسكتوا خوفاً؛ لأنه كان من تظاهر بإنكار شيء من ذلك قتل علانية إن أمكن، وإلا قتل سراً، ويقال إنهم قتلوا القاضي أبابكر بن العربي، والقاضي عياضاً السبتي وغيرهما.

وجهالهم يغلون في ابن التومرت حتى يجعلونه مثل النبي ﷺ وينشدون:

إذا كان من بالشرق في الغرب مثله ... فللوا[1] له المشتاق أن يتحيرا

وهم يقولون في **الخطبة**: الذي أُيد بالحكمة فكان أمره

---

(١) كذا في المطبوعة، ولم يتبيَّن لي معناها.

حتماً، واكتنف بالعدل اللائح والنور الواضح، الذي ملأ الأرض فلم يدع فيها ظلاماً ولا ظلماً»[١].

وقال: «وممن ادُّعِي أنه المهدي ابن التومرت، الذي خرج أيضاً بالمغرب، وسمَّى أصحابه الموحّدين، وكان يقال له في خطبهم: « الإمام المعصوم» و«المهدي المعلوم» الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً. وهذا ادعى أنه من ولد الحسن دون الحسين؛ فإنه لم يكن رافضياً، وكان له من الخبرة بالحديث ما ادعى به دعوى تطابق الحديث»[٢].

٧ ـ وكذلك مبالغته في التجهم والقول بالوجود المطلق ليس من أصول الأشاعرة.

قال ابن رشد: «وأما ما حصله الإمام المهدي، يعني محمد بن التومرت الذي ادّعى أنه المهدي المبشر به، وأقام المُلك المعروف بملك الموحدين، وكان كثير من مصنِّفي العلم في مملكة أتباعه يراعون ذكره وأقواله، حتى يذكروا اسمه بعد اسم النبي ﷺ؛ لأنه دعا الناس إلى أقواله بالسيف،

(١) بغية المرتاد (٤٩٤، ٤٩٥).
(٢) منهاج السنة (٨/٢٥٨، ٢٥٩).

واستحل دماء من خالفه فيما ذكره من التوحيد وإمامته وغير ذلك، وكأصول التوحيد الذي هو توحيد الجهمية نفاة الصفات، وكان يقول بالوجود المطلق، وعلى منواله نسج ابن سبعين وأمثاله في التوحيد»[١].

٨ ـ ولابن تومرت كتاب سماه (المرشدة) شذَّ فيه عن نهج الأشاعرة ومال إلى قول الفلاسفة والجهمية.

قال شيخ الإسلام: «وصاحب المرشدة كانت هذه عقيدته كما صرح بذلك في كتاب له كبير، شرح فيه مذهبه في ذلك، ذكر فيه أن الله تعالى وجود مطلق، كما يقول ذلك ابن سينا وابن سبعين وأمثالهم، ولهذا لم يذكر في مرشدته الاعتقاد الذي يذكره أئمة العلم والدين من أهل السنة والجماعة، أهل الحديث والفقه والتصوف والكلام وغيرهم، من أتباع الأئمة الأربعة وغيرهم، كما يذكره أئمة الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية، وأهل الكلام من الكلابية والأشعرية والكرامية وغيرهم، ومشائخ التصوف والزهد، وعلماء أهل الحديث.

---

(١) درء التعارض (١٠/ ٢٩٨).

فصاحب المرشدة لم يذكر فيها شيئاً من الإثبات الذي عليه طوائف من أهل السنة والجماعة، ولا ذكر فيها الإيمان برسالة النبي ﷺ ولا باليوم الآخر وما أخبر به النبي ﷺ من أمر الجنة والنار والبعث والحساب وفتنة القبر والحوض وشفاعة النبي ﷺ في أهل الكبائر، فإن هذه الأصول كلها متفق عليها بين أهل السنة والجماعة، ومن عادات علمائهم أنهم يذكرون ذلك في العقائد المختصرة، بل اقتصر فيها على ما يوافق أصله وهو القول بأن الله وجود مطلق، وهو قول المتفلسفة والجهمية والشيعة، ونحوهم ممن اتفقت طوائف السنة والجماعة أهل المذاهب الأربعة وغيرهم على إبطال قوله وتضليله»[١].

وقال: «فنفاة الصفات الجهمية من المعتزلة وغيرهم سموا نفي الصفات توحيداً، فمن قال إن القرآن كلام الله وليس بمخلوق. أو قال: إن الله يرى في الآخرة، أو قال: أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك لم يكن موحداً عندهم؛ بل يسمونه مشبهاً مجسماً، وصاحب المرشدة لقب أصحابه موحدين، اتباعاً لهؤلاء الذين ابتدعوا توحيداً ما أنزل الله به من سلطان،

---

(١) الفتاوى (١١/ ٤٨٥، ٤٨٦).

وألحدوا في التوحيد الذي أنزل الله به القرآن. وقال أيضاً في قدرة الله تعالى: إنه قادر على ما يشاء، وهذا يوافق قول الفلاسفة، وعلي الأسواري وغيره من المتكلمين الذين يقولون إنه لا يقدر على غير ما فعل، ومذهب المسلمين أن الله على كل شيء قدير سواء شاءه أو لم يشأه»[١].

وقال عن نفي أهل الكلام للصفات ومتابعة ابن تومرت لهذا المنهج: «حيث قالوا: إن المختص بشيء لابد له من مخصص، وهذا هو الذي سلكه نفاة الصفات، ويسمون نفي الصفات توحيداً، وهذا الذي سلكه أبوعبدالله محمد بن تومرت الملقب عند أصحابه بالمهدي، وأمثاله من نفاة الصفات المسمين ذلك توحيداً، ولقب ابن تومرت أصحابه ذلك إذ كان قوله في التوحيد قول نفاة الصفات: جهم وابن سينا، ويقول: إنه تلقى ذلك عمن يوجد في كلامه موافقة الفلاسفة تارة ومخالفتهم أخرى.

قلت[٢]: ولهذا رأيت لابن تومرت كتاباً في التوحيد

---

(١) الفتاوى (١١/٤٨٨، ٤٨٩).
(٢) القائل هو شيخ الإسلام.

صرح فيه بنفي الصفات، ولهذا لم يذكر في مرشدته شيئاً من إثبات الصفات ولا إثبات الرؤية ولا قال: إن كلام الله غير مخلوق ونحو ذلك من المسائل التي جرت عادة مثبتة الصفات بذكرها، ولهذا كان حقيقة قوله موافقاً لحقيقة قول ابن سبعين والقائلين بالوجود المطلق موافقة لابن سينا، وقد ذكر ابن تومرت في فوائده الشرقية أن الوجود مشترك بين الخالق والمخلوق، فوجود الخالق يكون مجرداً، ووجود المخلوق يكون مقيداً»(١).

٩ ـ أثر ابن تومرت في نشر البدع في بلاد المغرب، مما عَمَّق تعلق كثير من الأشاعرة بالبدع في العصور المتأخرة:

قال الشاطبي في ابن تومرت: «وكان مذهبه البدعة الظاهرية، ومع ذلك فابتدع أشياء، كوجوه من التثويب، إذ كانوا ينادون عند الصلاة «بتاصاليت الإسلام» و«بقيام تاصاليت» و«سوردين» و«باردي»(٢) و«وأصبح ولله الحمد» وغيره. فجرى العمل بجميعها في زمن الموحدين، وبقي أكثرها بعدما

(١) درء التعارض (٣/٣٣٨، ٣٣٩).
(٢) هكذا رسم العبارات في الاعتصام ولعلها بلهجة معروفة لدى المغاربة.

انقرضت دولتهم حتى إني أدركت بنفسي في جامع غرناطة الأعظم الرضا عن الإمام المعصوم، المهدي المعلوم، إلى أن أُزيلت وبقيت أشياء كثيرة غُفل عنها أو أُغفلت. وقد كان السلطان أبوالعلاء إدريس بن يعقوب بن يوسف بن عبدالمؤمن ابن علي منهم، ظهر له قبح ما هم عليه من هذه الابتداعات، فأمر ـ حين استقر بمراكش ـ خليفته بإزالة جميع ما ابتدع من قبله»[١].

١١ ـ أبوبكر بن العربي المعافري (ت٥٤٣هـ):

من تلاميذ الغزالي، له إسهام عظيم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي الذب عن الصحابة كما في كتابه (العواصم من القواصم).

يقرر العقيدة على مذهب الأشاعرة في الصفات وغيرها، ودافع عن ذلك وإن كان قد يرد على بعضهم كما فعل مع ابن الباقلاني والجويني، بل والأشعري نفسه، كما في كتبه: العواصم من القواصم، وقانون التأويل، وعارضة الأحوذي[٢].

(١) الاعتصام (١/ ٢٥٦).
(٢) انظر موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٢/ ٦٨٠).

١٢ ـ أبوالفتح محمد بن عبدالكريم الشهرستاني (ت٥٤٨هـ):

متكلم أشعري، فيه نزعات باطنية وفلسفية وصوفية.

ومنهجه يتلخص فيما يلي[١]:

١ ـ يؤول الصفات على نهج الأشاعرة المتأخرين كالجويني والبغدادي والغزالي.

٢ ـ يخلط بين مذهب السلف وبين المشبهة، ويزعم أن إثبات الصفات تشبيهاً[٢].

٣ ـ يزعم أن آيات الصفات من المتشابه[٣].

٤ ـ يشير إلى المقولة الخاطئة: أن طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم[٤]. ويشير إلى أن مذهب السلف التفويض[٥].

---

(١) راجع منهج الشهرستاني في الملل والنحل، لمحمد السحيباني، (ماجستير) (٢٧١) وما بعدها.

(٢) انظر: الملل والنحل (١/ ١٠٣ ـ ١٠٦) (كيلاني).

(٣) انظر: الملل والنحل (١/ ١٠٣).

(٤) انظر: الملل والنحل (١/ ١٠٤)، والحق أن طريقة السلف هي الأعلم والأسلم والأحكم بالضرورة.

(٥) انظر: الملل والنحل (١/ ١٠٤)، والحق أن مذهب السلف: الإثبات لا =

٥ ـ ميله للتشيع والتفسيرات الباطنية أحياناً، ومن ذلك[١]:

أ ـ مبالغته في إطراء آل البيت كعلي ـ رضي الله عنه ـ ومحمد بن الحنفية وجعفر الصادق[٢] وتقديم علي ـ رضي الله عنه ـ على سائر الصحابة رضي الله عنهم، وقدحه فيهم، حيث قدموا غيره في الإمامة[٣].

ب ـ قوله بالوصية والإمامة على نحو ما قالت الشيعة[٤].

جـ ـ اطراؤه لآباء الرسول ﷺ في الجاهلية[٥]، ودعوى النور الخفي[٦] (نزعة فلسفية باطنية صوفية).

د ـ القول بالعلم اللدني (نزعة باطنية صوفية)[٧].

هـ ـ تفسيراته الباطنية للنصوص، فالحج والعمرة: (النبي والوحي) والحج: (رجل من الأقطاب)، وعرفات:

= التفويض.

(١) ملخص عن منهج الشهرستاني في الملل والنحل (١٠٠ ـ ١٢٣).
(٢) انظر: الملل والنحل (١/ ٢٨٨، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٣٤، ٣٣٥) (بدران).
(٣) انظر: الملل والنحل (١/ ٣٢٧، ٤٩٣، ٢/ ٢٢١) (بدران).
(٤) السابق (٢/ ١٢٣٩، ١٢٤٤).
(٥) السابق (٢/ ١٢٣٩، ١٢٤٤).
(٦) السابق (١/ ٤٨٥، ٤٨٦، ٢/ ١٢٣٩، ١٢٤٦).
(٧) مفاتيح الأسرار (مخطوط) (١٩٦، ٣٠٥) نقلاً عن منهج الشهرستاني.

(النبوة)، والمشعر الحرام: (الولاية)[١].

وللشهرستاني ما يخالف هذه المقولات الباطلة الخطيرة فلعله رجع عنها[٢] إلا في مسألة أئمة آل البيت فإنه كثيراً ما يومئ إلى أن أئمة آل البيت عندهم علم خاص، ويعلمون بعض المغيبات وقد يخبرون بشيء من ذلك، وأن لديهم أسراراً وعلماً لدنيًّا[٣]. لكنه يومئ إلى هذه الأمور بحذر.

وقد ذكر شيخ الإسلام أن من الناس من يتهم الشهرستاني بأنه باطني (إسماعيلي) بسبب ميله لهم وللإمامية. فقال شيخ الإسلام في ردِّه على الحلِّي الرافضي:

«وأما قوله: إن الشهرستاني من أشد المتعصبين على الإمامية» فليس كذلك، بل يميل كثيراً إلى أشياء من أمورهم، بل يذكر أحياناً أشياء من كلام الإسماعيلية الباطنية منهم

---

(١) انظر: تفسيره مفاتيح الأسرار (مخطوط) (٥٥٥، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٧) نقلاً عن منهج الشهرستاني (١١١ ـ ١١٣).

(٢) انظر: منهج الشهرستاني (١١٦ ـ ١٢٠) فقد ذكر له في الملل والنحل وغيره ما ينقض ما سبق، والله أعلم.

(٣) انظر: الملل والنحل (١/١٤٩، ١٥٠، ١٥٦، ١٨٦، ٢٨٠، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٣٤) (بدران).

ويوجهه ولهذا اتهمه بعض الناس بأنه من الإسماعيلية، وإن لم يكن الأمر كذلك. وقد ذكر من اتهمه شواهد من كلامه وسيرته. وقد يُقال: هو مع الشيعة بوجه، ومع أصحاب الأشعري بوجه»(١).

١٣ ـ ابن عساكر (ت٥٧١هـ):

من أعظم الذابين عن الأشاعرة والمذهب الأشعري، وحَشد النقول والنصوص والآثار والروايات لذلك في كتابه الشهير: (تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري)، ولابن عساكر وكتابه هذا فضل كبير في تأييد مذهب الأشاعرة وترويجه لما للمؤلف من حظ وافر في الحديث والآثار، ولأنه أشهر كثيراً من أعلامهم، وأعلى من شأنهم وذكر مناقبهم على طريقة المحدثين(٢).

١٤ ـ فخر الدين الرازي أبوعبدالله بن الخطيب (ت٦٠٦هـ):

فيلسوف متكلم أشعري، فيه نزعة تصوف وتجهم.

---

(١) منهاج السنة (٦/ ٣٠٥).
(٢) انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٢/ ٦٨٣).

ويتلخص منهجه فيما يلي:

١ ـ **عمَّق الاتجاه الفلسفي والعقلاني الاعتزالي والجهمي في منهج الأشاعرة**، ووضع لهم الأسس والقواعد العقلية لرد النصوص الشرعية التي لا توافق أصولهم العقلانية وتأويلها، في كتابه أساس التقديس وغيره.

٢ ـ **له باع طويلة في الفلسفة** وألَّف فيها المؤلفات الكثيرة.

٣ ـ **يعتمد منهجه على أن النصوص الشرعية ظنية، والأدلة العقلية قطعية.**

وعلى هذا فقد بنى قانونه على أن العقليات مقدمةٌ على الشرعيات ومحكَّمةٌ فيها[1]. وبهذا كرَّس منهج تأويل الصفات وقرب الأشاعرة إلى الجهمية والمعتزلة في ذلك.

ملخص قانونه:

كما بيَّنه في أساس التقديس وذكره شيخ الإسلام ابن تيمية: «إذا تعارضت الأدلة السمعية والعقلية، أو السمع والعقل، أو النقل والعقل، أو الظواهر النقلية والقواطع

(١) راجع أساس التقديس (١٧٢).

العقلية، أو نحو ذلك من العبارات، فإما أن يجمع بينهما، وهو محال؛ لأنه جمع بين النقيضين؛ وإما أن يرادا جميعاً؛ وإما أن يقدم السمع، وهو محال؛ لأن العقل أصل النقل، فلو قدمناه عليه كان ذلك قدحاً في العقل الذي هو أصل النقل، والقدح في أصل الشيء قدح فيه، فكان تقديم النقل قدحاً في النقل والعقل جميعاً، فوجب تقديم العقل، ثم النقل إما أن يُتأول، وإما أن يُفَوَّض.

وأما إذا تعارضا تعارض الضدين امتنع الجمع بينهما، ولم يمتنع ارتفاعهما».

وهذا الكلام قد جعله الرازي وأتباعه قانوناً كلياً فيما يستدل به من كتب الله تعالى وكلام أنبيائه ـ عليهم السلام»[1].

٤ ـ من منهج الرازي الطعن في رواية الصحابة والسلف رواة السنة:

قال الرازي في معرض رده الاستدلال بأحاديث الآحاد في معرفة الله تعالى وصفاته: «إن أجل الرواة قدراً وأعلاهم منصباً

---

(١) درء التعارض (١/ ٤)، وانظر أساس التقديس (١٧٢).

الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ ثم إنا نعلم أن روايتهم لا تفيد القطع واليقين» ثم ذكر السبب وهو بزعمه: «أن كل واحد منهم طعن في الآخر»[١]، وهذه شنشنة الرافضة والخوارج والجهمية قبله. أما السلف فهم متفقون على أن رواية الصحابة عن رسول الله ﷺ إذا صحت أسانيدها عنهم أفادت القطع، كيف لا وهم الذين نقلوا لنا القرآن والسنة وأصول الدين وفروعه وقطعياته.

ثم قال في أئمة الحديث: «أنه اشتهر فيما بين الأمة أن جماعة من الملاحدة وضعوا أخباراً منكرة، واحتالوا في ترويجها على المحدثين، والمحدثون لسلامة قلوبهم ما عرفوها، بل قبلوها»[٢].

قلت: وهكذا يتوهم الرازي أن أئمة الحديث بهذه الصورة المهينة؛ مجموعة دراويش وأغبياء!! حسبنا الله ونعم الوكيل.

وقال في معرض رده خبر الآحاد وأن المحدثين رُوِّج عليهم أكاذيب الملاحدة: «إن هؤلاء المحدثين يخرجون

---

(١) أساس التقديس (١٦٩).
(٢) أساس التقديس (١٧٠).

الروايات بأقل العلل مثل: أنه كان مائلاً إلى حبِّ عليٍّ فكان رافضياً فلا تقبل روايته، وكان معبد قائلاً بالقدر فلا تقبل روايته، فما كان فيهم عاقل يقول: إنه وصف الله تعالى بما يبطل إلهيته وربوبيته فلا تقبل روايته؟ إن هذا من العجائب»[١].

أقول: بل من العجائب أن يذهل الرازي عن أن الذين ردُّوا رواية الرافضي والقدري كيف لا يردون رواية الملاحدة؟

ثم مَنْ هم هؤلاء الملاحدة الذين روَّجوا على السلف أحاديث لا يرضاها الرازي؟ وهو يشير إلى رواة أحاديث الصفات التي لا يطيقها هو ومن سلك سبيله.

ثم إذا هو طعن في رواية السلف في صفات الله سبحانه، فما بالك بما هو دونها من سائر أمور الدين، عقيدة وشريعة.

ثم كيف يتهم السلف رواة أحاديث الصفات بأنهم وصفوا الله تعالى بما يبطل إلهيته وربوبيته؟ لأنهم وصفوا الله تعالى بما ينفيه الرازي وأمثاله. والسلف (الصحابة والتابعون ومن تبعهم بإحسان) أعرف بالله من الرازي وذويه، والسلف أهل الحديث

---

(١) أساس التقديس (١٧١).

إنما نقلوا ما صحَّ عن رسول الله ﷺ في صفات الله، وميَّزوا بين الصحيح والضعيف، ووضعوا من موازين الجرح والتعديل والتصحيح والتضعيف ما لم يحط به هو وأمثاله.

٥ ـ من منهج الرازي الطعن في الأدلة الشرعية وتقديم الأوهام الظنية عليها:

قدَّم الرازي أوهامه التي يُسميها المعقولات على نصوص الوحي، كلام الله تعالى وما صح عن رسول الله ﷺ، وتابع الجهمية والمعتزلة والفلاسفة في ذلك. قال شيخ الإسلام عن منهج الرازي: «وكتب أصول الدين لجميع الطوائف مملوءة بالاحتجاج بالأدلة السمعية الخبرية؛ لكن الرازي طعن في ذلك في المطالب العالية، قال: لأن الاستدلال بالسمع مشروط بألا يعارضه قاطع عقلي، فإذا عارضه العقلي وجب تقديمه عليه، قال: والعلم بانتفاء المعارض العقلي متعذر وهو إنما يثبت بالسمع ما علم بالاضطرار أن الرسول أخبر به لا المعاد، وقد يظن أن هذه طريقة أئمة الواقفة في الوعيد كالأشعري والقاضي أبي بكر وغيرهما، وليس كذلك؛ فإن هؤلاء إنما وقفوا في أخبار الوعيد خاصة؛ لأن العموم عندهم لا يفيد القطع، أو

لأنهم لا يقولون بصيغ العموم. وقد تعارضت عندهم الأدلة وإلا فهم يثبتون الصفات الخبرية لله تعالى، كالوجه واليد بمجرد السمع والخبر ولم يختلف قول الأشعري في ذلك وهو قول أئمة أصحابه، لكن أبوالمعالي وأتباعه لا يثبتون الصفات الخبرية، بل فيهم من ينفيها ومن يقف فيها كالرازي والآمدي»[١].

٦ ـ بلغ التأويل عند الرازي ذروته:

بلغ التمادي في التأويل عند متكلمة الأشاعرة غايته بمنهج الرازي في أساس التقديس، قال: «فاستواؤه قهره واستيلاؤه، ونزوله بره وعطاؤه، ومجيئه حكمه وقضاؤه، ووجهه وجوده أو وجوده وحباؤه، وعينه حفظه، وعونه اجتباؤه، وضحكه عفوه أو إذنه وارتضاؤه، ويده إنعامه أو إكرامه واصطفاؤه»[٢] فعدل عن إثبات حقيقة الصفات على ما يليق بالله تعالى إلى صرفها إلى بعض معانيها وبعض لوازمها، مما يوهم أن السلف الذين يثبتون حقيقة الصفات، لا يقرون

---

(١) الفتاوى (١٣/ ١٣٩).
(٢) أساس التقديس (١/ ٢) المقدمة.

بهذه المعاني اللازمة، والأمر ليس كذلك فإن السلف حينما أثبتوا لله تعالى صفة اليد كما يليق بجلاله أثبتوا كذلك لوازم هذه الصفة من الكرم والإنعام والرزق والخلق، والقدرة والقوة، وغيرها.

٧ ـ ميله للجهمية والدهرية في الصفات وغيرها:

المتأمل لسيرة الرازي ونهجه في التلقي في أول حياته يجد أنه كان مخلِّطاً، وقد صنَّف في السحر والشعوذة وتلقى من كتب الفلاسفة والجهمية وأهل الكلام، قال شيخ الإسلام: «أبوعبدالله فيه تجهم قوي، ولهذا يوجد ميله إلى الدهرية أكثر من ميله إلى السلفية الذين يقولون إنه فوق العرش».

وقال: «وقد صنف على مذهب الدهرية المشركين والصابئين كتباً، حتى صنف في السحر وعبادة الأصنام، وهو الجبت والطاغوت، وإن كان أسلم من هذا الشرك وتاب من هذه الأمور»[١] لكن بقيت آثار ذلك في منهجه في تقرير العقيدة ومسائلها، ثم صار لهذا المنهج أثره البالغ في أصول الأشاعرة

---

(١) بيان تلبيس الجهمية (١/ ٢٧٧) (الهنيدي).

المتأخرين ومناهجهم.

٨ ـ توغله في الاتجاه الباطني والفلسفي:

قال في المحصل عند تقرير أن العلم بالخالق يحصل بلا معلِّم: «أما الأول فلاحتمال أن يكون عقل النبي والإمام أكمل من عقول سائر الناس، فلا جرم كان عقله مستقلاً بإدراك الحقائق، وعقل غيره لم يكن مستقلاً، وكان محتاجاً إلى التعليم»[1] **ويستنتج من هذا النص أمور:**

١ ـ فهو أولاً جعل الإمام مرادفاً للنبي، وهذه نزعة شيعية باطنية.

٢ ـ أنه جعل مصدر المعرفة كمال عقل النبي، وهذه نزعة فلسفية.

٣ ـ ويشير إلى العلم اللدني الصوفي، أو الفيض العقلي، والأولى صوفية والثانية فلسفية باطنية، يظهر هذا من قوله: «عقله مستقلاً بإدراك الحقائق» بل النبي ـ أي نبي ـ محتاج إلى تعليم الله له، ولا يستقل بعلم شيء من دون

---

(١) المحصل (٦٠).

الله، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ [النساء: ١١٣]، وقال سبحانه: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، وقال يوسف عليه السلام: ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾ [يوسف: ٣٧].

٤ ـ ونتج عن ذلك: زعمه أن هناك من العلم ما يمكن تحصيله بلا تعليم. وسبق سياق الآيات التي ترد ذلك.

٩ ـ أصول الرازي امتداد لمنهج أبي المعالي والشهرستاني:

فالرازي وإن كان قد توسَّع في الأخذ بمناهج الفلاسفة والجهمية والمعتزلة إلا أن أصوله امتداد لمناهج من سبقوه من متكلمة الأشاعرة كأبي المعالي الجويني والشهرستاني والبغدادي وغيرهم. قال شيخ الإسلام: «والرازي مادته الكلامية من كلام أبي المعالي والشهرستاني، فإن الشهرستاني أخذه عن الأنصاري النيسابوري عن أبي المعالي، وله مادة قوية من كلام (أبي الحسين البصري) وسلك طريقته في أصول الفقه كثيراً، وهي أقرب إلى طريقة الفقهاء من طريقة الواقفة.

وفي الفلسفة مادته من كلام ابن سينا والشهرستاني أيضاً ونحوهما. وأما التصوف فكان فيه ضعيفاً، كما كان ضعيفاً في الفقه.

ولهذا يوجد في كلام هذا وأبي حامد ونحوهما من الفلسفة ما لا يوجد في كلام أبي المعالي وذويه.

ويوجد في كلام هذا وأبي المعالي وأبي حامد من مذهب النفاة المعتزلة ما لا يوجد في كلام أبي الحسن الأشعري وقدماء أصحابه»[(١)].

١٠ ـ من منهج الرازي التشكيك وإثارة الإشكالات والحيرة:

قال شيخ الإسلام واصفاً منهج الرازي: «وينصر الإسلام وأهله في مواضع كثيرة، كما يشكك أهله ويشكك غير أهله في أكثر المواضع، وقد ينصر غير أهله في بعض المواضع، فإن الغالب عليه التشكيك والحيرة أكثر من الجزم والبيان»[(٢)].

١١ ـ منهج الرازي في كتابه اعتقادات فرق المسلمين والمشركين يخالف منهجه في سائر كتبه ومصنفاته، فإنه في هذا الكتاب كان أسلم منهجاً، وأقرب للصواب من غيره، فلعله من آخر كتبه مما يؤكد رجعته عن أكثر مقولاته.

---

(١) بغية المرتاد (٤٥٠، ٤٥١).
(٢) الفتاوى (١٦/٢١٣، ٢١٤).

١٢ ـ ويقال: إن الرازي رجع عن علم الكلام وأعلن أنه على عقيدة السلف، والأرجح أنه في (أقسام اللذات) تراجع عن بعض مقولاته المنكرة، وسلم بصحة منهج السلف على العموم، لكنه لم يترك المنهج الكلامي بالكلية، والله أعلم.

١٥ ـ أبو الحسن الآمدي (ت٦٣١هـ):

أشعري متكلم متفلسف صوفي مشهور بإيراد الإشكالات والحيرة، **وأخطر ما يلاحظ في منهجه:**

أولاً: أنه يجزم بأن الأدلة السمعية ظنية لا تفيد اليقين[1][2]. وقد جنىٰ ثمرة هذا الاعتقاد الفاسد إذ اشتهر عنه وأمثاله من المتكلمين الحيرة والتيه في مسائل الدين الكبار. نسأل الله العافية والسلامة.

وثانياً: زعمه أن المعرفة قد تحصل بلا تعلم ولا دليل ولا تعليم، وهو مذهب فلاسفة الصوفية. قال في معرض سياقه

---

(١) انظر: غاية المرام (٩٠، ٩١).

(٢) انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٢/ ٧١٤).

للأمور التي تحصل بها المعرفة فذكر منها: «طريق السلوك والرياضة، وتصفية النفس وتكميل جوهرها، حتى تصير متصلة بالعوالم العلوية، عاملة بها مطلعة على ما ظهر وما بطن، من غير احتياج إلى دليل ولا تعلم ولا تعليم»(١).

قلت: وهذا مسلك خطير في مصادر التلقي، وتخليط في الدين، يلغي اعتبار النبوة والرسالة والوحي (القرآن والسنة) وهو مسلك غلاة الصوفية، والفلاسفة والباطنية والرافضة.

١٦ ـ عضد الدين الأيجي (ت٧٥٦هـ):

أشعري متكلم، جمع بين علم الكلام والمنطق وشيء من الفلسفة، ومقالاته متسقة مع أصول الأشاعرة أكثر ممن سبقوه.

ومن أهم كتبه (العقائد العضدية) و(المواقف في علم الكلام).

وكتبه تمثل المراحل الأخيرة في استقرار المذهب الأشعري على قواعد علم الكلام والتجهم والمنطق والفلسفة

---

(١) أبكار الأفكار (مخطوط) (١/٢٧ ـ أ). نقلاً عن موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٢/٧١٣).

والتصوف، حتى أصبح تقرير كتبه شائعاً عند سائر الأشاعرة في العالم اليوم، وفي غالب مدارسهم، خاصة كتابه (المواقف) وقد كثرت شروحه.

والجدير بالذكر أن أكثر من النصف الأول للكتاب مقدمات فلسفية ومنطقية، والباقي فيما يسمونه الإلهيات وفي الصفات وعلى منهج المتكلمين[١].

* * *

(١) انظر: (المواقف) للأيجي، ط. عالم الكتب. وانظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٢/ ٧٢٢، ٧٢٣).

والخلاصـــة

بهذا العرض الموجز لمناهج كبار الأشاعرة نستخلص أموراً:

الأول: أن مذهب الأشاعرة تطور من مجرد نزعة كلامية في عهد الكلابية والأشعري إلى فرقة كلامية كبرى ذات مناهج مستقلة ومخالفة لنهج السلف: تتكون من خليط من أصول الجهمية والفلاسفة والصوفية، والأصول الكلامية العقلانية التي قررها رءوس الأشاعرة أنفسهم، وبعض أصول أهل السنة والجماعة.

الثاني: أن الأشاعرة استقرت مناهجها على المخالفة والانفصال عن مناهج أهل السنة في أصول كثيرة منها:

١ ـ مصادر التلقي حيث جعلت العقل مقدماً على النقل، ونزعتها الصوفية أضافت مصادر أخرى لتلقي الدين.

٢ ـ مناهج الاستدلال على قضايا العقيدة والتوحيد، حيث انحرفت إلى مناهج الفلاسفة والمتكلمين.

٣ ـ كما انحرفت عن عقيدة السلف في كثير من أصول العقيدة في صفات الله تعالى، وكلام الله تعالى، والرؤية والقدر، والإيمان، والنبوات، والوحي، وتوحيد العبادة حيث سادت فيها النزعة الصوفية المقابرية.

٤ ـ أن الأشاعرة كسائر الفرق تجتمع على أصول مجملة، لكنها تختلف في مقالاتها وأصولها التفصيلية إلى مدارس ومناهج شتى ينقض بعضها بعضاً. وهذا بخلاف منهج أهل السنة والجماعة، فهم يتفقون ـ بحمد الله ـ على كل أصول الاعتقاد على نهج واحد وأسلوب واحد في التلقي والاستدلال والتقرير والبيان. كما بينت في حلقات سابقة.

مقارنة بين مذهب الأشعري وبين مذاهب أتباعه:

فالأشعري يوافق السلف في أمور كثيرة، ويخالفهم ويوافق ابن كلاب في بعض المسائل الكلامية، ومع ذلك فإن الأشعري أصح عقيدة وأسلم نهجاً وأقرب إلى سمت السلف من الأشاعرة المنتسبين إليه، **ويتضح ذلك بهذه المقارنة**:

١ ـ **الأشعري اعترف بأن مذهب السلف أعلم وأسلم وأحكم** جملة وتفصيلاً، والأشاعرة خلاف ذلك.

٢ ـ **الأشعري يجل السلف ويعظِّمهم آخر أمره**، والأشاعرة يلمزونهم بالحشو والتشبيه والجهل.

٣ ـ **الأشعري يبدع الاستدلال بالأعراض والأجسام والجواهر**، والأشاعرة يوجبونه.

٤ ـ **الأشعري يثبت الصفات الخبرية**، والأشاعرية يؤولونها.

٥ ـ **الأشعري يثبت الاستواء والعلو والفوقية لله تعالى**، والأشاعرة يؤولونها.

٦ ـ **الأشعري يثبت الرؤية مع العلو والفوقية**، والأشاعرة يقولون بالرؤية من غير جهة.

٧ ـ **الأشعري يقول بقول السلف في الإيمان**، وأتباعه يخالفونه فهم مرجئة في ذلك.

الأشاعرة المتأخرون يناقضون أقوال أسلافهم:

المتأخرون من الأشاعرة يناقضون قول أسلافهم، ويلزمونهم بلوازم تقتضي براءة الأولين من المتأخرين، ورمي المتأخرين للأولين بالحشوية والمجسمة ونحو ذلك، مثاله:

الأشاعرة الأوائل يثبتون الاستواء، وهذا عند المتأخرين تجسيم.

الأشاعرة الأوائل يثبتون العلو والفوقية الذاتية، وهذا عند المتأخرين تجسيم.

الأشاعرة الأوائل يثبتون الرؤية مطلقاً، وهذا عند المتأخرين تجسيم.

الأشاعرة الأوائل يثبتون النزول والمجيء، وهذا عند المتأخرين تجسيم.

الأشاعرة الأوائل يقرون أحاديث الصفات الخبرية، وهذا عند المتأخرين حشو.

الأشاعرة الأوائل يقولون الإيمان قول وعمل، وهذا عند المتأخرين حشو.

الأشاعرة الأوائل يقولون الإيمان يزيد وينقص، وهذا عند المتأخرين قول فاسد.

الأشاعرة خالفوا منهج الأشعري في الصفات:

الأشاعرة صاروا بعد الأشعري أقرب إلى الجهمية والمعتزلة من منهج الأشعري وابن كلاب الذين أسسا المذهب.

ذلك أن الأشعري بعد تركه الاعتزال يثبت الصفات الخبرية الواردة في القرآن، ويردُّ على من نفاها أو أوّلها، وينكر

على المعتزلة تأويلهم الصفات كاليد والعين[١] والوجه[٢] والاستواء[٣].

أما الأشاعرة فعمدة مذهبهم تأويل هذه الصفات وغيرها، وقد تدرجوا في التأويل ابتداءً من أبي الحسن الطبري، ثم الباقلاني وابن فورك، ثم القشيري ثم أبي المعالي الجويني فالغزالي، وتوج الاتجاه العقلاني التأويلي بابن الخطيب الرازي. ويعدُّ الجويني من أول من تعمق في استعمال العقليات والتكلف فيها في التأويل.

يقول شيخ الإسلام: «بل أبوالمعالي الجويني ونحوه ممن انتسب إلى الأشعري، ذكروا في كتبهم من الحجج العقليات النافية للصفات الخبرية ما لم يذكره ابن كُلاب الأشعري وأئمة أصحابهما، كالقاضي أبي بكر بن الطيب وأمثاله، فإن هؤلاء متفقون على إثبات الصفات الخبرية، كالوجه واليد والاستواء.

وليس للأشعري في ذلك قولان، بل لم يتنازع الناقلون

---

(١) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٢٧١).
(٢) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٢٩٠).
(٣) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٢٨٥).

لمذهبه نفسه في أنه يثبت الصفات الخبرية التي في القرآن، وليس في كتبه المعروفة إلا إثبات هذه الصفات، وإبطال قول من نفاها وتأوّل النصوص، وقد ردَّ في كتبه على المعتزلة ـ الذين ينفون صفة اليد والوجه والاستواء، ويتأولون ذلك بالاستيلاء ـ ما هو معروف في كتبه لمن يتبعه، ولم ينقل عنه أحد نقيض ذلك، ولا نقل أحد عنه تأويل هذه الصفات قولين»[١].

وكذلك فإن تأويل صفة اليد والعين وغيرهما هو مذهب الجهمية والمعتزلة، وقد حكاه عنهم الأشعري نفسه، وكان ينكر عليهم ذلك، ثم قالت به الأشاعرة.

قال الأشعري في المقالات: «وأجمعت المعتزلة بأسرها على إنكار العين واليد، وافترقوا في ذلك على مقالتين:

١ ـ فمنهم من أنكر أن يقال: لله يدان، وأنكر أن يقال: إنه ذو عين، وإن له عينين.

٢ ـ ومنهم من زعم أن لله يداً، وأن له يدين، وذهب في معنى

---

(١) درء التعارض (٥/٢٤٨).

ذلك إلى أن اليد نعمة، وذهب في معنى العين إلى أنه أراد العلم، وأنه عالم، وتأول قول الله عز وجل: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه: ٣٩] أي بعلمي»[١].

وما حكاه الأشعري عن المعتزلة هو ما قال به أتباعه فيما بعد.

ودعوى متأخري الأشاعرة أن مذهب الأشعري التأويل كما فعلوا جناية عظيمة عليه.

قال شيخ الإسلام: «وأما الأشعري نفسه وأئمة أصحابه فلم يختلف قولهم في إثبات الصفات الخبرية وفي الرد على من يتأولها كمن يقول: استوى بمعنى استولى وهذا مذكور في كتبه كلها، كالموجز الكبير والمقالات الصغيرة والكبيرة والإبانة وغير ذلك، وهكذا نقل سائر الناس عنه حتى المتأخرون كالرازي والآمدي ينقلون عنه إثبات الصفات الخبرية ولا يحكون عنه في ذلك قولين، فمن قال: إن الأشعري كان ينفيها وإن له في تأويلها قولين: فقد افترى عليه، ولكن هذا فعل

(١) مقالات الإسلاميين (١/ ٢٧١).

طائفة من متأخري أصحابه كأبي المعالي ونحوه فإن هؤلاء أدخلوا في مذهبه أشياء من أصول المعتزلة»[١].

الأشاعرة نسبوا للأشعري ما لم يقل به:

وإن كان هذا غالباً ليس على سبيل الكذب، وإنما على سبيل التخرص والظن والتكلف في تخريج الأقوال على أصوله، **فالمعروف أن الأشعري رجع لمذهب السلف في الصفات وغيرها، وقرّر ذلك في الإبانة واللمع ورسالة أهل الثغر وغيرها وإن فاته القليل، لكن بعض الذين حكوا مذهبه بعده نسبوا إليه ما لم يقله على منهج المتكلمين**، ومنهم ابن فورك حيث قال في ذكره لتقرير أصول الأشعري: «وما لا يوجد منصوصاً له قد أجبنا فيه على حسب ما يليق بأصوله وقواعده»[٢].

وقال: «وإن لم نجد عنه فيه نصاً ووجدنا أصوله تشهد بذلك وقواعده عليه مبني نسبناه إليه على هذا الوجه، وما

---

(١) الفتاوى (١٢/ ٢٠٣).

(٢) مجرد مقالات أبي الحسن الأشعري ص(٩) عن موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٢/ ٣٨٦).

وجدنا له معنى ما حكيناه عنه أضفناه إليه على أنه معنى مذاهبه، وقلنا في جميع ذلك أنه كان يقول كذا وكذا، وتفصيل ذلك على الوجه الذي بيّنا»[١].

أقول: وهذا تقوُّل بيِّن على الأشعري، وماذا يقول ابن فورك فيما كتبه الأشعري نفسه من إثبات الصفات على خلاف ما نسبه إليه وخرَّجه على مذهبه، وهل يعقل ألا يكون ابن فورك اطَّلع على كتب الأشعري؟ الله أعلم.

ومن هنا نعرف سبب الخلط في مذهب الأشاعرة والأشعري، فليتأمل فإن العقيدة لا تقبل التخريج على الأقوال والأصول، والأشعري قد صرَّح بخلاف ما نسبوا إليه!

وقال شيخ الإسلام موضحاً أن الكلابية والأشاعرة يوافقون المعتزلة في بعض أصولهم ويخالفونهم في أصول أخرى: «وإذا قالوا: «لا تحله الحوادث» أوهموا الناس أن مرادهم أنه يكون محلاً للتغيرات والاستحالات ونحو ذلك من الأحداث التي تحدث للمخلوقين فتحيلهم وتفسدهم، وهذا معنى صحيح،

---

(١) مجرد مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري (٣٣٨ ـ ٣٣٩). انظر موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٢/ ٣٨٧).

ولكن مقصودهم بذلك أنه ليس له فعل اختياري يقوم بنفسه، ولا له كلام ولا فعل يقوم به يتعلق بمشيئته وقدرته، وأنه لا يقدر على استواء أو نزول أو إتيان أو مجيء. وأن المخلوقات التي خلقها لم يكن منه عند خلقها فعل أصلاً، بل عين المخلوقات هي الفعل، ليس هناك فعل ومفعول، وخلق ومخلوق، بل المخلوق عين الخالق، والمفعول عين الفعل، ونحو ذلك. وابن كلاب ومن اتبعه وافقهم على هذا وخالفوهم في إثبات الصفات. وكان ابن كلاب والحارث المحاسبي وأبوالعباس القلاليني وغيرهم يثبتون مباينة الخالق للمخلوق وعلوه بنفسه فوق المخلوقات.

وكان ابن كلاب وأتباعه يقولون: إن العلو على المخلوقات صفة عقلية تعلم بالعقل، وأما استواؤه على العرش فهو من الصفات السمعية الخبرية التي لا تعلم إلا بخبر، وكذلك الأشعري يثبت الصفات بالشرع تارة وبالعقل أخرى، ولهذا يثبت العلو ونحوه مما تنفيه المعتزلة، ويثبت الاستواء على العرش ويرد على من تأوله بالاستيلاء ونحوه مما لا يختص بالعرش، بخلاف أتباع صاحب «الإرشاد» فإنهم سلكوا

طريقة المعتزلة، فلم يثبتوا الصفات إلا بالعقل»[١].

وكان الأشعري نفسه أشدهم على المعتزلة لخبرته بمذهبهم ولصدق توجهه للسنة:

قال شيخ الإسلام: «الأشعري بيَّن من تناقض أقوال المعتزلة وفسادها ما لم يبينه غيره حتى جعلهم في قمع السمسمة»[٢].

وكان الأشعري ردَّ على نفسه حين رجع عن الاعتزال «وألفنا كتاباً كبيراً في الصفات سميناه كتاب الجوابات في الصفات عن مسائل أهل الزيغ والشبهات، نقضنا فيه كتاباً كنا ألفناه قديماً فيها على تصحيح مذهب المعتزلة لم يؤلف لهم كتاب مثله، ثم أبان الله سبحانه لنا الحق فرجعنا فنقضناه وأوضحنا بطلانه»[٣].

الأشاعرة الخرسانيون خالفوا العراقيين:

العراقيون من أئمة الأشاعرة كالأشعري والباهلي وابن

---

(١) درء التعارض (٢/ ١٢).
(٢) الفتاوى (٥/ ٥٥٦).
(٣) تبيين كذب المقتري (١١٣١).

مجاهد والباقلاني وابن شاذان لم يكونوا في النفي كأشاعرة خراسان كابن فورك، حيث زادوا في النفي أشياء، ونقصوا مما أثبته الأشعري أشياء»[١].

عوامل انتشار المذهب الأشعري:

بدأ المذهب الأشعري على المنهج الكُلاَّبي وكان مرفوضاً ومغموراً عند السلف، ثم توسع تدريجياً حتى صار مشهوراً في أكثر البلاد الإسلامية، وربما يكون المنتسبون له هم الأكثر عدداً في العالم الإسلامي وذلك للعوامل التالية:

١ ـ ارتباطه بالطرق الصوفية التي شملت أكثر البلاد الإسلامية.

٢ ـ ارتباطه بالمذاهب الفقهية الشافعية والمالكية والأحناف.

٣ ـ شهرة أبي الحسن الأشعري وموقفه من المعتزلة وكسره لهم.

٤ ـ رفعه شعار السنة والجماعة أمام عامة الشعوب الإسلامية التي يسودها الجهل بحقيقة مذهب السلف.

٥ ـ انطلاق المذهب آنذاك من عاصمة الخلافة بغداد، مما

---

(١) بيان تلبيس الجهمية (١/ ٣٠١) (اللاحم).

أعطاه قوة واعتباراً سياسياً.

٦ ـ اشتماله على الأصول العقلية والكلامية التي تستهوي هواة الجدل والمناظرة والعقليات والذين يحبون الشهرة والانفلات من الأفكار والعقائد المستقرة.

٧ ـ تبنت المذهب الأشعري دول وقامت بنشره بكل الوسائل، كالسلجوقية، خاصة الوزير نظام الملك الذي أنشأ لعلماء الأشاعرة المدارس النظامية وسخر الطاقات لنشره، ثم الدولة الأيوبية، التي طهَّرت بلاد المسلمين من رجس الباطنية وأحلت محلها مذهب الأشاعرة.

وكذلك دولة الموحدين بالمغرب نشرت مذهب الأشاعرة بقوة السيف، وسبق الحديث عن أثر ابن تومرت في نشر المذهب الأشعري والإلزام به بالقوة.

موقع الأشاعرة من أهل السنة:

السمة العامة للأشاعرة في الأحكام وشعائر الإسلام، ومسائل الصحابة والإمامة هي سمة أهل السنة والجماعة، ومواقفهم تجاه الفرق المخالفة كالجهمية والمعتزلة والخوارج والرافضة والباطنية في جانب أهل السنة والجماعة في الجملة،

وهم محسوبون في هذه الأمور على أهل السنة مقابل الجهمية والرافضة ونحوهم، وكان علماء السلف يحمدون لهم مواقفهم في نصر السنة، مع ضرورة الاحتراز من بعض مناهجهم وأساليبهم الكلامية التي استخدموها مع الخصوم أو في تقرير العقيدة.

أما في أصول العقيدة ومناهجها وأساليب تقريرها فهم في الجملة يخالفون منهج السلف، ومع الزمن استقرت مناهجهم على مباينة السلف في أصول كثيرة.

الأشاعرة قد يوافقون السلف في الصفات من وجه لكنهم يخالفونهم من وجوه أخرى:

فهم حين يثبتون سبع صفات يوافقون السلف في ذلك في الجملة لا في التفصيل؛ لكنهم يخالفون في الباقي، فالأشاعرة مع أنهم يوافقون المعتزلة في بعض أصولهم إلا أنهم خير منهم وأقرب إلى قول السلف في الصفات؛ لأن المعتزلة تنفي جميع الصفات.

يقول شيخ الإسلام: «فكل من المعتزلة والأشعرية في مسائل كلام الله وأفعال الله؛ بل وسائر صفاته وافقوا السلف

والأئمة من وجه وخالفوهم من وجه، وليس قول أحدهما هو قول السلف دون الآخر، لكن الأشعرية في جنس مسائل الصفات، بل وسائر الصفات والقدر أقرب إلى قول السلف والأئمة من المعتزلة»[1].

مع العلم أن مجرد الانتساب لغير السنة والجماعة بدعة، لكنها لا تخرج صاحبها من السنة إذا كان على هدي السلف.

والخلاصة: أن الأشاعرة في أصولهم ومناهجهم وكثير من مقالاتهم صاروا من الفرق المفارقة للسلف إلا أن الأشاعرة أقرب الفرق إلى نهج السلف إذا قارناهم بالفرق الغالية، وذلك أنهم يوافقون السنة في أمور كثيرة.

وأن سمتهم العامة ومواقفهم التاريخية، وأكثر آثارهم العلمية في الحديث وعلومه، والفقه وأصول التفسير وعلومه، واللغة وعلومها وسائر العلوم فيما سوى العقيدة، قد يندرجون في أهل السنة والجماعة ولها إسهام مشكور في هذه العلوم، ومنهم علماء فضلاء وأئمة أجلاء خدموا الإسلام والمسلمين،

---

(١) الفتاوى (١٢/ ١٣٤، ١٣٥).

وأسهموا في نشر العلوم الشرعية وتعليمها وخدمتها.

وإذا كانوا خالفوا السلف في بعض أصول العقيدة أو أكثرها فهم يوافقونهم فيما عدا ذلك. ونهجهم العام ـ فيما عدا ذلك ـ وأعمالهم وعلومهم وسائر أحوالهم تندرج في أعمال أهل السنة والجماعة في العموم. أصلح الله شأننا وشأنهم.

ومما ينبغي التنبه له: أن غالب أصولهم الكلامية التي خالفوا فيها السلف لا يدركها ويقول بها ويعتقدها ويتمسك بها إلا قلائل من أهل الجدل والعلم فيهم، أما عامتهم ودهماؤهم فهم كسائر عوام المسلمين، وما لم يتلبسوا ببدع مغلظة فهم محسوبون من أهل السنة ما داموا على السنة.

ومجرد الانتساب للأشاعرة بدعة لا يخرج المسلم بها من السنة وإن أخطأ في ذلك إلا إذا خالف في أصل أو تكاثرت عنده البدع، والله أعلم.

وعلى ذلك فإن:

الانتساب للأشعري والأشعرية بدعة عند السلف:

ذلك أنه من أظهر السمات لدى الأشاعرة انتسابهم لأبي

الحسن الأشعري في العقيدة دون بقية السلف، وليس انتسابهم له فيما وافق فيه السلف كما في الإبانة، بل فيما خالف فيه «وأما من قال منهم بكتاب الإبانة الذي صنّفه الأشعري آخر عمره ولم يظهر مقالة تناقض ذلك، فهذا يعد من أهل السنة، لكن مجرد الانتساب للأشعري بدعة»[1].

فالأشاعرة في انتسابهم لمذهب الأشعري صنفان:

١ ـ صنف على مذهب أهل السنة والحديث، إنما ينتسب للأشعري لأنه نصر السنة بعد ترك الاعتزال، واشتهر في كسر شوكة الاعتزال وقمع غرور المعتزلة، وأعلن مذهب السلف ورفع علم السنة، فهذا الصنف من أهل السنة وإن كان مجرد انتسابه للأشعري بدعة لا يقر عليها فتكون من العالم زلة مغفورة إن شاء الله. وعلى هذا أمثال الخطابي والبيهقي والنووي.

٢ ـ وصنف آخر وهم أهل الكلام الذين انتسبوا للأشعري للاعتبارات المذكورة وغيرها لكنهم ليسوا على منهج السلف إنما سلكوا مسالك كلامية ورثوها عن الكلابية

---

(١) الفتاوى (٦/ ٣٥٩).

والجهمية والمعتزلة، وهم السواد الأعظم من الأشاعرة فهؤلاء جمعوا بين البدعتين: الشعار والمنهج.

ليس كل من انتسب للأشاعرة يكون على مذهبهم:

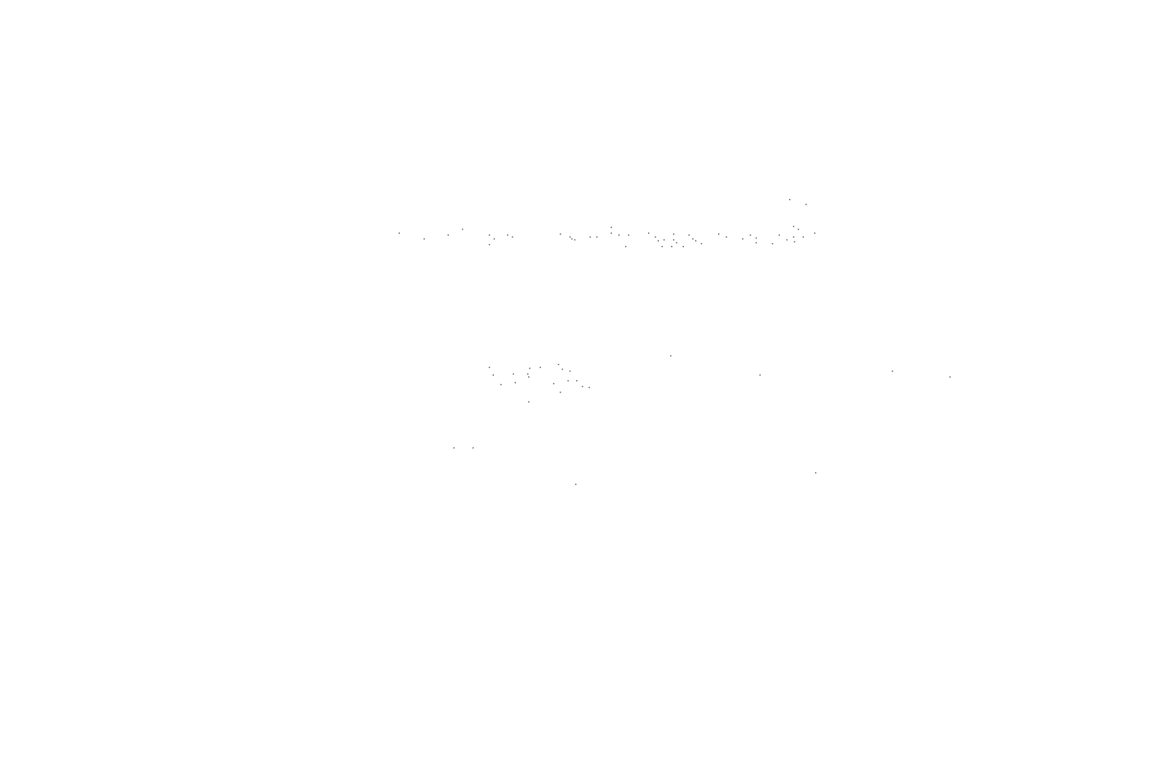
ومع ذلك فإن الانتساب للأشاعرة أصبح شعاراً لكثير من الناس في سائر البلاد الإسلامية ممن يوافقهم على هذه الأصول ومن لا يوافقهم من العلماء والعوام.

فقد يوجد طوائف كثيرة وشعوب وأفراد تنتمي للأشاعرة انتماء تقليد، أو من غير فهم للأصول، وقد يكونون على السنة ونهج السلف، وعلى هذا عدد من العلماء وأهل الحديث وأتباع الأئمة الأربعة وكثير من العوام الذين لا يتلبسون بالبدع الكبيرة، فهم على السنة ولو اتبعوا شيوخهم بالانتساب للأشاعرة.

* * *

الماتريدية

أصولهم ومنهجهم وأشهر رجالهم
وموقف السلف منهم



الماتريديـــة

تعريف الماتريدية:

هم أتباع أبي منصور الماتريدي. وهو محمد بن محمد بن محمود السمرقندي المتكلم، المتوفى سنة (٣٣٣هـ) وسمي بالماتريدي نسبة إلى بلدة اسمها ماتريت أو ماتريد؛ قرب سمرقند المشهورة بـ (بلاد ما وراء النهر)[١].

والماتريدية سميت بذلك لأنها تسير على نهج الماتريدي في مسائل الاعتقاد، كما انتسب الأشاعرة إلى أبي الحسن الأشعري.

والماتريدية كالأشاعرة في غالب الأصول والسمات حيث قد استقر أمرها إلى أن صارت: (فرقة كلامية عقلانية، صوفية، مرجئة، قبورية).

وقد تدرجت إلى هذه الأوصاف على مراحل، حيث

---

(١) راجع أصول الدين للبزدوي، وتبصرة الأدلة لأبي المعين النسفي، والفوائد البهية للكنوي، والماتريدية لأحمد الحربي.

دخلها التصوف، ثم القبورية، في مراحل متتالية.

نشـأتها:

الماتريدية واضحة المنشأ حيث تعود أصولها إلى مؤسسها الأول أبي منصور الماتريدي الذي عاش بين القرن الثالث والرابع الهجريين، إذ كانت وفاته سنة (٣٣٣هـ) على المشهور والأرجح.

وكانت الماتريدية في أول نشأتها وبعدها بمراحل مغمورةً، ولا تعرف إلا في مواطنها في بلاد ما وراء النهر، وسائر أهل المقالات الذين تحدثوا عن الفرق في عصر الماتريدي وبعده لم يتحدثوا عن الماتريدية، كالأشعري في المقالات، وهو معاصر للماتريدي، وكذلك مَنْ بعده كالبغدادي وابن حزم والشهرستاني والإسفراييني ومن عاصروهم كلهم لم يذكروا شيئاً عن الماتريدية، مع أنهم تحدثوا عن مشاهير المتكلمين المعاصرين للماتريدي ومن بعده، وكان من أول من ذكر عنهم خبراً ومقالة: الرازي فخر الدين المتوفى سنة (٦٠٦هـ) حيث أشار في كتابه (محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين) إلى مقولتهم في ما يسمونه صفة

(التكوين)، ولم يذكرهم باسمهم إنما ذكرهم باسم الحنفية[١] لأنهم أحناف كما هو معلوم.

ومشاهير كُتَّاب التراجم كذلك لم يذكروا الماتريدي، إنما أشارت إليه بعض المراجع المتأخرة في تراجم الحنفية، مثل (الجواهر المضيئة) للقرشي، المتوفى سنة (٧٧٥هـ) وترجم له بإيجاز بالغ[٢].

وقد بدأت شهرتها حينما مكَّنتها ومكَّنت شيوخها الدولة العثمانية في العصور المتأخرة، كما أن شهرتهم وامتدادهم في البلاد التي يكثر فيها الأحناف وهي غالباً البلاد الإسلامية الأعجمية الشرقية والشمالية، وهي في البلاد العربية قليلة.

ومن الملفت للنظر أن شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ مع سعة اطلاعه وإحاطته بكثير من الفرق المشهورة والمغمورة لا نجد للماتريدية والماتريدي ذكراً عنده، إلا النزر اليسير، حين

---

(١) راجع محصل أفكارالمتقدمين والمتأخرين (٢٦٩)، والماتريدية لأحمد الحربي (٧٩، ٨٠).

(٢) راجع الجواهر المضيئة (٣/ ٣٦٠، ٣٦١).

يـذكـر أبـامنصـور الـمـاتـريـدي ضـمـن أصـحـاب المقـالات الكلامية[١].

* * *

(١) انظر ـ مثلاً ـ الفتاوى (٦/ ٢٩٠) فقد ذكر الماتريدي ضمن القائلين بأن القرآن قديم.

أصول الماتريدية ومنهجها في تقرير العقيدة وسماتها

أولاً: منهج التلقي ومصادره عند الماتريدية:

الماتريدية كغيرهم من الفرق الكلامية لا تلتزم الوحي (الكتاب والسنة) في تلقي العقيدة وتقريرها، بل تجعل العقل مصدراً يعول عليه[١]، وتقول بالمجاز في صفات الله تعالى[٢]، ويزعمون عدم حجة خبر الآحاد في العقيدة[٣] كما تقول الجهمية والمعتزلة ومن سلك سبيلهم، وهذه الأصول جعلت الماتريدية تجانب عقيدة السلف في الصفات وبعض أصول العقيدة الأخرى كما سيأتي بيانه.

ويتضح منهجهم هذا في تقديم العقل على الشرع ما ذهبوا إليه من أن معرفة الله تجب بالعقل قبل ورود

(١) انظر: التوحيد للماتريدي (٤ ـ ٦/ ١٢٩، ١٣٧)، وتبصرة الأدلة (ل١٠١)، ونثر اللآليء (٢٠٤)، والحواشي البهية (١/ ٢٣)، والروضة البهية (٣٤ ـ ٣٧).

(٢) انظر: إشارات المرام (١٨٧، ١٨٩).

(٣) انظر: التوحيد (٨، ٩).

السمع[١] وهم في هذا جانبوا الصواب، فإن الحق أن معرفة الله تعالى واجبة بالعقل والشرع، ولا تستقل العقول بإيجابه كما يذهب إليه الماتريدية وغيرهم من أهل الكلام وعلى رأسهم المعتزلة.

فإن قيام الحجة أو ثبوت العقاب لا يكون إلا بعد ورود الشرع كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

ثانياً: الأصول العقدية التي خالفوا فيها السنة:

الماتريدية كالأشاعرة خالفت السنة والسلف في كثير من أصول الاعتقاد حين سلكت المنهج الكلامي والفلسفي والعقلاني في تقرير العقيدة، **ومن أهم هذه الأصول التي خالفت فيها الماتريدية:**

١ ـ ما سبق ذكره من تقديمهم للعقل وتحكيمه في تقرير التوحيد والصفات، وبعض الأصول الاعتقادية الأخرى.

---

(١) التوحيد (١٠٢، ١٢٩، ١٣٠، ١٨٥)، والروضة البهية (٣٧)، وبحر الكلام (١٤٠).

٢ - **يزعمون أن أول واجب على العبد (المكلف) هو النظر**[١]**،** **تبعاً للمعتزلة والفلاسفة،** ومعلوم بقواطع النصوص أن أول واجب على المكلف هو: (شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله)، وأن الشهادتين متضمنة لكل ما قالوه وزيادة - والحمد لله.

٣ - **كما أنهم نهجوا منهج الفلاسفة فيما يسمونه؛ إثبات الصانع بدليل حدوث الأجسام،** ويستخدمون ألفاظ الفلاسفة ومصطلحاتهم البدعية في تقرير التوحيد، كالجسم والعرض والجوهر[٢] والتي بسببها نفوا صفات الله تعالى لأنهم شبهوا أولاً، إذ افترضوا التشبيه، ثم لجأوا للتعطيل بالتأويل وألجأهم لذلك جهلهم بحقيقة مذهب السلف، والتزامهم لوهميات ظنوها عقليات.

٤ - **يسلكون منهج التأويل أو التفويض في صفات الله تعالى، فهم في هذا الأصل العظيم مضطربون كسائر أهل الكلام**[٣]، ولذا فهم لا يثبتون من الصفات إلا ثمان

---

(١) انظر: التوحيد (٩، ١٠، ١٣٥).
(٢) انظر: التوحيد.
(٣) انظر: التأويلات للماتريدي (١/ ٩٧٧)، نسخة دار الكتب، والتمهيد (١٩)، =

صفات، وهي الصفات السبع التي يقول بها الأشاعرة (العلم، والإرادة، والحياة، والقدرة، والسمع، والبصر، والكلام) ويزيدون عليها صفة (التكوين)، وهذه من الصفات التي اخترعوها من عند أنفسهم.

أما بقية الصفات فلا يثبتونها كما جاءت في الكتاب والسنة، وكما كان عليه السلف الصالح بل يؤولونها، ويذهبون إلى نفي الصفات الاختيارية، ويسمون إثباتها (حلول الحوادث به تعالى)[١] تبعاً لتوهمات الفلاسفة، والجهمية والمعتزلة ومن سلك سبيلهم.

٥ ـ **كلام الله عندهم أزلي لا يتعلق بالمشيئة، وكلام الله لموسى بزعمهم إنما كان بحروف مخلوقة**[٢] وهم بذلك يوافقون المعتزلة والكلابية في نفي أن الله يتكلم متى شاء بحرف وصوت كما يليق بجلاله وكما ثبت بالنصوص الصحيحة.

٦ ـ **قولهم بالرؤية قول الأشاعرة: يثبتونها بلا مقابلة**

= وأصول الدين للبزدوي (٢٥، ٢٦) وإشارات المرام (١٨٧، ١٨٩)، وراجع الماتريدية للحربي (١٦٢) وما بعدها.

(١) انظر: التوحيد (٥٣، ٦٩).

(٢) انظر: التوحيد (٥٣، ٥٩).

بزعمهم[١]. وقصدهم بذلك نفي الفوقية والعلو واستواء الله على عرشه، لتسلم لهم قاعدتهم الفلسفية العقلانية في ذلك.

٧ - **قولهم في الإيمان قول أهل الكلام، فالإيمان عندهم هو التصديق، ولا يدخلون الأعمال في مسمى الإيمان،** ولا يرون الاستثناء في الإيمان، وعلى هذا فهم مرجئة كسائر الأحناف والأشاعرة.

٨ - **لمزهم للسلف: ذلكم أنه من سمات أهل الأهواء عموماً، وأهل الكلام على جهة الخصوص لمز السلف وسبهم، والحط من شأنهم،** والملفت للنظر أن أبامنصور الماتريدي كان شديد اللهجة على السلف، وكثير اللمز لهم كما كانت تفعل المعتزلة والجهمية، رغم أنه عاش في وقت متقدم في آخر القرن الثالث وأول الرابع (ت٣٣٣هـ) فكان يطلق كلمة (الحشوية) على أهل الحديث، كقوله: «قالت الحشوية: سميت المرجئة بما لم يسموا كل الخيرات

---

(١) انظر: التوحيد (٧٧ ـ ٨٥).

إيماناً»(١)، وقوله: «ثم القول وخلق الإيمان فيما بيننا وبين الحشوية»(٢)، وقوله: «ثم الحق على مذهب المعتزلة والخوارج والحشوية الاستثناء في الدين»(٣).

٩ ـ **منهج الماتريدية في التأليف في العقيدة كمنهج الأشاعرة وسائر أهل الكلام**، يبدءونه بالمقدمات العقلية والفلسفية، والمصطلحات الفلسفية وإيراد الإشكالات والجواب عليها، وغاية التوحيد عندهم ـ في كتب العقيدة ـ توحيد الربوبية، وعلى العموم فإن مناهج الماتريدية وسماتها العامة لا تخرج عن مسلك الكلابية والأشاعرة، إلا أن الماتريدي أكثر توغلاً في الكلاميات والمصطلحات الفلسفية من ابن كلاب ومن الأشعري كذلك، فالماتريدية أسبق إلى المنهج الكلامي الشامل من الأشاعرة، لا كما يظن بعض الناس من أن الأشاعرة أسبق إلى ذلك من الماتريدية، لكن الأشاعرة في مراحلها الأخيرة توغلت في المناهج الكلامية والفلسفية إلى أن صارت مثل الماتريدية

---

(١) التوحيد (٣٨١).
(٢) التوحيد (٣٨٥).
(٣) التوحيد.

أو تزيد.

١٠ ـ **المذهب الماتريدي في العقيدة مرتبط ـ غالباً ـ بالمذهب الحنفي في الفقه**، فإن الماتريدي نفسه، وكذلك تلاميذه وأتباعه وشيوخ الماتريدية كلهم أحناف، ولذا نجد لعلماء الماتريدية إسهام كبير وجيد في العلوم الأخرى: (التفسير وعلوم القرآن، والفقه وأصوله، والعربية).

من مشاهير الماتريدية[(١)]:

١ ـ **أبومنصور الماتريدي** المؤسس للمذهب (ت٣٣٣هـ) وأهم مصنف له في تقرير مذهبه كتابه: (التوحيد) وهو أهم مرجع في عقيدة الماتريدية، ويقوم على اعتماد المذهب الكلامي في تقرير العقيدة.

٢ ـ **أبواليسر محمد بن محمد البزدوي** (ت٤٩٢هـ) شيخ الحنفية، وهو في العقيدة على منهج الماتريدي كما قرأ

---

(١) تراجع الكتب التالية: الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية للقرشي، والفوائد البهية في تراجم الحنفية للكنوي، وتاج التراجم لقطلوبغا، والتاج المكلل لصديق حسن، ومعجم المؤلفين لكحالة، وكشف الظنون لحاجي خليفة، والماتريدية (رسالة ماجستير) للدكتور/ أحمد بن عوض الله الحربي.

كتب الأشعري وأفاد منها، وقرأ كتب الفلاسفة وحذر منها، وكذلك كتب المعتزلة[١]، وقد ألف كتابه (أصول الدين) على منهج الماتريدي.

٣ ـ **أبوالمعين النسفي** (ت٥٠٨هـ) وهو من أكابر علماء الماتريدية الأحناف الذين نصروا المذهب، وكتابه: (تبصرة الأدلة في عقيدة الماتريدية) يعد الكتاب الثاني بعد (التوحيد) للماتريدي.

٤ ـ **أبوحفص نجم الدين النسفي** (ت٥٣٧هـ) وهو من المؤلفين المكثرين، وصاحب (العقائد النسفية) من أهم المتون في مذهب الماتريدية.

٥ ـ **نورالدين أحمد بن أبي بكر الصابوني** (ت٥٨٠هـ) له مناظرات مع فخر الدين الرازي في نصرة مذهب الماتريدية[٢].

٦ ـ **الكمال بن الهمام** (ت٨٦١هـ) من أكابر الماتريدية، وله مؤلفات جيدة في الفقه وأصوله والعقيدة، من أشهرها:

---

(١) انظر كتابه: أصول الدين (١).

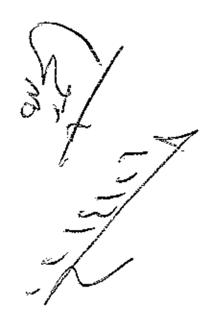
(٢) راجع (مناظرات في بلاد ما وراء النهر) لفخر الدين الرازي.

(المسايرة في العقائد المنجية في الآخرة).

٧ ـ **ملا علي القاري** (ت١٠١٤هـ) وهو من المكثرين في التأليف، وله اهتمام في الحديث، ومن المنصفين لشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم والمدافعين عنهما.

٨ ـ **عبدالرحيم شيخ زاده** (ت١١٣٣هـ).

٩ ـ **محمد زاهد الكوثري** (ت١٣٧١هـ) وكان الكوثري سباباً للسلف، شديد الطعن والثلب فيهم، وله اهتمام بالحديث وتحقيق المخطوطات، لكنه جعل ذلك ذريعة للطعن في علماء الأمة، والتشكيك بمناهج السلف، وتعميق الخلاف بين السلف وبين الماتريدية، وظهرت على منهجه هذا جماعات ومدارس واتجاهات معاصرة حادة تتنكر للسُّنَّة وأهلها بل تحاربهم ـ وحسبنا الله ونعم الوكيل.



* * *



الفهـــرس

* * *